جريدة البصائر في حوار مع العالم الجزائري الدكتور عبد الوهاب ذهبي

ص. 08 / 09

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديصمبر 1935م

الاثنين 04 - 10 جمادى الثانية 1434 هـ /15 - 21 أفريل 2013 العدد: 648 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

على بصيرة

بقلم: الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المقامة البادیسیة

في الذكرى الخمسينية

سبعون سنة أو يزيد، انقضت على رحيل العالم المجيد، فيا ابن باديس! يا رمز عزّتنا، وباني نهضتنا، ومحيي أمتنا! هل تأذن لنا روحك الطّاهرة، بعد سبعين سنة من وفاتك البدنية، وخمسين سنة من حياتنا الوطنية، أن يبثك مريدك، مناجاة قلب مقروح، ومعاناة عقل مجروح؟.

وهل تسمح لنا، وروحك تحلّق بيننا بمناسبة ذكراك، أن نرسم لك بالكلمات ما يعانيه وطنك من تباريح، وما يعتمل في صدر أبنائه من وساوس وتصاريح؟.

إنّ العلم الذي زرعته، في الليالي الحالكات قد أينع زرعه، وأثمر ضرعه في عقول الخلّص من أبنائك، فصار يومًا، بل شهرًا للعلم، يتغنى فيه الجزائريون بخصالك، ويتغنون بحِكم أقوالك، وجلائل أعمالك، ولكن كيف صار العلم بعدك؟ وكيف طبق الوطن علمك وعهدك؟ -أيُّ علم- هذا الذي آل إليه العلم بعد رحيلك؟ وأيُّ عقل هذا الذي يدعي اقتفاء أثرك، ونهج سبيلك؟.

لقد أفرغ كلّ شيء من محتواه، وحاد كلّ بناء عن هدفه ومبتغاه، فأنت رفعت شعار التربية والتعليم، ولكنّنا نكبنا عن صراطك القويم، فأصبحنا لا نربي، ونقدِّم -باسم العلم- التعليم العقيم، بمنهج العليل السّقيم. قد لا تصدق -يا نافخ الروح في ثورتنا- إن قلنا لك بأنّ منظومة التربية والتعليم التي وضعت أسّسها قد آلت إلى منكوبة أو مظلومة تسّمم النّفوس، وتسوّد الطروس، وتنشئ لنا من الناشئة كلّ منبوذ ومتعوس.

يتبع ص 02

بمناسبة يوم العلم

لمن أعيش؟

ص. 10 - 11

بمناسبة يوم العلم ننشر ملخص هذه المحاضرة التي ألقاها الشيخ عبد الحميد بن باديس على أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وقد حدد فيها الخطوط العريضة لنظرية التغيير كما يتبناها ونزعته الإنسانية وفلسفته في الإصلاح وأولوياته الدعوية. كان ابن باديس واضحا في تبنيه الإسلام كمرجعية للتغيير، كما أنه كان واضحا عندما حدد مجال التغيير.

إقرأ في نفس الملف

إمام الأمة وذكرى يوم العلم..

ص. 10

الرجل الذي عاش للإسلام وللجزائر

ص. 10

خلود العالم

ص. 11

بمناسبة يوم الأسير الفلسطيني

الأسرى الفلسطينيون في سجون العدو الصهيوني

ص. 04

شاهد ومشهود

وداعـــا أمـــاه...

بقلم: الأستاذ كمال أبو سنة

أماه.. أيتها الحبيبة الغالية..يا نعمة ليست تشابهها نعم الدنيا الفانية..إن الكلمات تبدو لي الآن وأنا أحاول أن أخطها لرثائك ضائعة غير قابلة للصياغة.. وكأنني لم أقرأ ولم أكتب من قبل..ولم أحمل القلم يوما وهو الذي صاحبني من اليوم الأول الذي وطئت رجلاي الكُتّاب الذي ألحقتني به صغيرا وأنا لم أجاوز السنوات الخمس من عمري لأحفظ كتاب الله..ويا لها من فرحة أنارت وجهك الكريم حين عُدتُ إليكِ وأنا أحمل أول لوحة مخطوطة بسورة من القرآن حفظتها على سيدي الشيخ الذي أكرمتِه بما تملكين من مال على ذلك رغم ضيق اليد..إن الكلمات التي كانت لينة بين أناملي..أشكلها كيف أشاء.. ومتى أشاء..تمتنع الآن عن الحضور والاجتماع.. وتأبى أن تطيعني كعادتها، لأنك أكبر من كل الكلمات والتعابير..!

أبكيكِ لو نقع الغليل بكائي

وأقول لو ذهب المقال بدائي

أماه الغالية..إنني أتصبر لفقدك-والله- بأن حياة الدنيا ما هي إلا مرحلة نعيشها ثم نرحل عنها فنلتقي -إن شاء الله- برحمة الله الذي كان بكِ وبي حفيا في جنة عرضها السموات والأرض.. هذه الحياة..يشهد الله..التي أذاقتك آلامها ومعاناتها وأنت صغيرة .. أيام الاحتلال.. يوم كانت الجزائر أرض الرباط حيث رابطت محتسبة مع المجاهدين.. بما قدرك الله عليه..ثم تجرعك بعد ذلك من كأس الأوضاع الاجتماعية المزرية بعد الاستقلال بسبب ظلم من تولوا أمرنا ونسوا وتناسوا، فخرجت من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة راجية ما عند الله الذي هو خير وأبقى..وبين هذا وذاك تداعي الأمراض المختلفة المزمنة التي عانيت منها سنوات طويلة وأنت كبيرة راضية مرضية حتى مل الداء والدواء..!

أماه الغالية..لقد شهدتُ من كرامات الله عليك في موتكِ وجنازتكِ ما خفف عني ألم الفراق..ويا له من ألم..وجعل نار الحزن في قلبي.. رغم لهيبها الذي لن يخمد.. بردا وسلاما، وقد سمعت بأذني وعاينت بعينيي الدامعتين اللتين تكحلتا برؤيتك كل يوم.. ما دعوتِ الله به في حياتك يتحقق في مماتك..بل في حياتك الحقيقية الخالدة..فالتحقتي به كما أردتِ بإرادته ومنّه وكرمه..وكان آخر منازلك في الدنيا إلى الآخرة قبر حفيدتك الصغيرة « أميرة « التي لم تبلغ الحولين..حفيدتك التي جاءت من بعيد لتُولد في بيتك..وشاء الله أن تأتي مرة أخرى من بعيد لتودع الدنيا في بيتك في نفس الشهر..ولطالما سألتي الله أن يكون قبرها الصغير مثواك الأخير..فاستجاب دعاءك دون تخطيط منا..ولكن بتقدير عجيب من الله الذي إن أراد شيئا قال له: كن، فيكون.. فكنت ضيفة كريمة عليها وعلى من معها من أبناء المسلمين المدفونين في المربع الخاص بهم، فكنت كالأم التي تحتضن أبناءها.. فهنيئا لك بجوارهم وصحبتهم وهم الصغار الذين لم يجرِ القلم عليهم..وهنيئا لهم بحضنك الدافئ.. وعطفك الغامر..ورحمتك التي تفوق الوصف..!

أماه..وداعا..ولكن إلى حين..يوم يجمعنا الله معا في مستقر رحمته..في دار خير من دارنا.. حيث يتم لنا الوصال مرة أخرى..فسلام الله عليك يا غالية يوم وُلدتِ.. ويوم متِّ.. ويوم تبعثين حية..وإنا لله إنا إليه راجعون..!

مقامات البصائر

عبد المطلب، أيّ رجل فقدنا

بقلم: د. عبد الحفيظ بورديم
bourdime2013@gmail.com

عبد المطلب بن محمد بن علي الملقّب زفيزف، رجل من الأخيار أولى الدعوة الأبرار، كان من أهل الزهد في مباهج الدنيا يوم تنافسها الناس، وكان من أهل الحكمة في الدعوة إلى الله كأنّه النبراس، يحنو على الفقراء فيشفي صدورهم بقسمة القضاء، وينصح للمرضى بالقناعة بما أصابهم من بلاء، ويحذّر تاركي الصلاة من يوم الجزاء، فالتفّ على حبّه خلق كثيرون، ومشى في جنازته رجال يبكون.

ارتضى الدعوة والتبليغ منهجا، فساح في الأرض مؤوّبا ومدلجا، وحيثما قادته الأقدار انكشفت له الأسرار، فقد رأى في الحجّ هيبة المسلمين، ورأى في الهند إقبال المحتاجين، ورأى في قرى البلاد فطرة الجزائريين، ورأى بعين اليقين أنّ الحياة لا تستقيم بغير الدين، فأفنى عمره داعيا بلسان مبين، حتى أتاه اليقين.

وقبيل عصر الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الأولى أسلم الروح إلى بارئها راضية مرضية بإذن ربّها، فما كاد الخبر يذاع حتى تداعى المئات إلى بيت أخيه يعزّون، وقد توافدوا من كلّ حدب ينسلون، وما كدت أدركهم حتى كانوا خمس مائة أو يزيدون، ولمّا كان صباح الثلاثاء صاروا أكثر من أن يحصون.

والذي برأ النسمة لقد عرفته عابدا تقيّا، طاهرا نقيا، متواضعا زكيا، ولقد رأيت النساء يبكين فقده، ورأيت الرجال يذكرون زهده، ولقد رأيت ألوفا من مشيّعيه يوارونه لحده، ولقد سمعت رجلا يقول هذه ثاني أعظم جنازة يشهد.

أذكر أنّه نصح لي مرّة فقال إنّ الناس يحتاجون إلى من يعرف مشكلاتهم فيحدّثهم بحاجاتهم، ومن أراد أن يدعو إلى الله فليرفق بهم وليأخذ بيد ضعيفهم وليحسن إلى عامّتهم وليكلّمهم بألسنتهم، وعرّفني مرّة على رجل دخل السجن فكان يواسي أخاه حتى أطلق سراحه. ومن جميل ما أهداني كتاب أبي الحسن الندوي: لماذا تأخّر المسلمون.

فاللهم يا من قضيت الموت وجعلته رجوعا إليك، تقبّل عبدك ابن عبدك وابن أمتك وأدخله برحمتك جنتك.اللهم إن كان محسنا فزد في إحسانه، وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته. اللهم وغسّله بالثلج والماء والبرد ونقّه من الخطايا كما ينقّى الثوب الأبيض من الدنس. واجعل ولده عبد الرحمن ومكفوله أبا بكر صدقة جارية وحسنة ماضية. آمين.

تتمة ص 01

المقامة الباديسية في الذكرى الخمسينية

فشت في مدارسنا كلّ الآفات الاجتماعية، فالتلميذ يضرب معلمته، والطالب يقتل أستاذه، وما ذلك إلا لتناول المخدرات، وتعاطي المسكرات، وشيوع الفواحش، والمنكرات. سكن العنف مدارسنا، وملاعبنا، وشوارعنا، ومنازلنا، فعربدنا، وسلكنا سلوك السكارى، الحيارى، فهل نبني العلم والمعرفة بالحيارى، والسكارى؟ صرنا نلتقي بمظاهر العنف، في اختطاف الأطفال، واغتصاب القصر من الأجيال، واغتيال البرءاء من الأشبال... فتأتي كلّ ألوان المحال من الخيال، فيا لله لمستقبل النساء والرجال!.

ويسألونك عن الفساد بجميع مظاهره، فقل لقد عمّ البلاء، وساد الغلاء، واستبّد الفرقاء والغرباء، والأذلاء.

ماذا فعلنا -إذن- بتراث ابن باديس العلمي، وماذا يعني الاحتفال -اليوم- وإحياء ذكرى وفاته؟ إنّ خمسين سنة في عمر الإنسان، تعني النّضج، والتعقل والحكمة، فأين مظاهر هذا النضج في خمس عشريات من استقلال وطننا؟ لماذا حِدنا عن المنهج القديم الذي رسمه لنا ابن باديس في العلم والبناء، فأبدلنا كلّ ذلك بالظلم والشقاء؟.

إنّ الاحتفال بالذكرى الخمسينية للاستقلال وإحياء الذكرى السبعينية لوفاة رائد النهضة ابن باديس، واستعادة الذكرى الثمانين لتأسيس جمعية العلماء، لهي محطات جزائرية تاريخية مضيئة، يجب أن تلهمنا دروسًا ومعاني، نستلهمها لنستضيء بها في حياتنا المستقبلية، للخلاص من أعراض الانتكاس، والإفلاس، وإعادة تصحيح مسار البناء والإحياء.

ومن أجل هذا لا بدّ من إعادة بناء كلّ منظومتنا السياسية، والثقافية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية.

- يجب البدء في ضوء المنهج الباديسي بضخ روح الثوابت الوطنية في عقول الساسة، على جميع المستويات كلّ من موقع مسؤوليته. كما يجب إعادة البناء الثقافي والتربوي، وهما متكاملان بوضع أسس جديدة لمعنى الثقافة بتخليصها من مظاهر ارتعاد الجسم وهزّ الأرداف، إلى السّمو بها إلى مستوى الإبداع العقلي والإيمان الروحي.

- بخصوص المنظومة التربوية ينبغي أن تُسند عملية إصلاحها إلى هيئة وطنية عليا ممثلة لكلّ أطياف الفكر الوطني، لصياغة منظومة تربوية جديدة، تكون جزائرية الانتماء، عربية الأداء، إسلامية الروح، عملية المنهج، إنسانية القيم.

وما يقال عن المنظومات السياسية، والثقافية، والتربوية، يجب أن ينسحب على الاقتصادية والاجتماعية، بوجوب إعادة وضع آليات صارمة للمراقبة، بغية إحداث التوازن المفقود في البناء الوطني المنشود.

إنّ أعظم، وسام توشح به روح عبد الحميد ابن باديس، في ذكراه السبعينية هو أن نعمق معنى الانتماء الوطني في حياتنا وأن نصحح المفاهيم التي نتعامل معها، في مؤسساتنا الوطنية، فنعيد للعلم معناه، وللوطن مبناه، وللإنسان هداه، إذا أردنا أن نبقى أوفياء للعلم والعلماء أمّا ما عدا هذا، أي عدم ترجمة أقوالنا إلى أفعال، وشعاراتنا إلى مشاريع، فسنظلّ نطارد طاحونة هواء، ويكون حالنا كمن يكتب على الماء.

أ.د. عبد الرزاق قسوم

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
● المدير مسؤول النشر رئيس التحرير: أ. د. عبد الرزاق قسوم
● نائب رئيس التحرير: أ. كمال أبو سنة
● سكرتير التحرير: أ. عبد القادر قلاتي
● مستشار التحرير: أ. عبد الحميد عبدوس
● المدير التقني: أ. مصطفى كروش
التحرير: الهاتف والفاكس: 021.49.51.19
الإدارة: الهاتف والفاكس: 021.49.52.67 021.23.33.73
الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة: مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد: 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مربوش - حسين داي - الجزائر.
التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ الشرق: KDP 031.92.49.48 ★★★ الغرب: S.D.P.O «0550.57.54.55

شبهـــات بلحمـــر وتحفظـات الشيخ شيبان

في الوقت الذي تشغل فيه أخبار الفساد وامتداد أيادي المفسدين بكل الطرق الشيطانية لنهب المال العام، وتصاعد الاحتجاجات الاجتماعية في مناطق متفرقة من الوطن، حيزًا واسعًا من كتابات الصحف واهتمامات المواطنين، تمّ تسليط الأضواء في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية على أحد المشتغلين بالرّقية في الجزائر أقلّ ما يقال فيه أنّه غريب الأطوار!.

تغطية: عبد الحميد عبدوس

هذا الرّاقي المدعو «بلحمر أبو مسلم» المولع بمطاردة العفاريت يقول عن نفسه في حوار له مع جريدة وطنية: «قضيت طفولتي في الغابات والمقابر وكنت أخاطب الأشجار والحجارة...».

في الحقيقة لم نكن لنتوقف عند تفاصيل طفولة الرّاقي «بلحمر» ولا عند حواراته التي ملأت الصحف وشغلت الناس، لولا أنّ هذا الرّاقي تعمّد استعمال اسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الراحل الشيخ عبد الرحمن شيبان، وشخصيات وطنية التحقت بجوار ربّها لتأكيد مصداقية ممارساته وأفكاره المثيرة للجدل!.

فعندما سئل الرّاقي «بلحمر» عن الشخصيات الهامّة في الجزائر التي كانت تقصده للرقية؟ أجاب: «قلت في برنامج هذه حياتي (الذي عرضه تلفزيون الشروق على ثلاث حلقات) إنّ الرئيس الشاذلي بن جديد وعبد الحميد مهري ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ شيبان وعلماء من خارج الوطن كانوا يرقون عندي...»

وإذا كنت غير مخوّل ولا مطلع على حقيقة ما إذا كان السيدان الشاذلي بن جديد، رئيس الجمهورية الأسبق، وعبد الحميد مهري الأمين العام الأسبق لجبهة التحرير الوطني -عليهما رحمة الله- يقصدان «بلحمر» للرّقية، فإنّي أشك كثيرا أن يكون رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السابق الشيخ عبد الرحمن شيبان -رحمه الله- من بين الشخصيات التي عرضت نفسها على «بلحمر» لكي يرقيها، وذلك لأسباب عديدة أهمّها: أنّ نجل الشيخ شيبان الدكتور نوفل شيبان هو من أقرب المقربين للشيخ شيبان في حياته، والذي كان يلازمه في حلّه وترحاله، وراعيًا له في أيام مرضه، قد نفى نفيًا قاطعًا في اتصال هاتفي معي أن يكون والده الشيخ شيبان قد تلقى أو طلب رقية من الرّاقي «بلحمر».

والغريب أنّ الراقي الذي لم يتردد في ذكر أسماء الشخصيات الثلاثة: الشاذلي بن جديد، عبد الحميد مهري، عبد الرحمن شيبان، بأنّهم كانوا ممن تلقوا الرقية على يديه، وهم كلّهم ممن فارقوا الحياة، نجده يرفض الكشف عن أسماء الأحياء ممن كانوا يرقون عنده، وهكذا فعن سؤال الصحفية: «من كان يرقي عندك من مشايخ السلفية في السعودية، أريد أن أعرف؟»

أجاب: «لا، مستحيل، لقد استأمنوني على عدم ذكر أسمائهم، نعم كثيرون من السياسيين في الجزائر يرقون عندي ومشايخ وعلماء من خارج الوطن حتى من السعودية، أنا أرقيهم لكن لا أستطيع ذكر أسمائهم للأمانة».

أليس من المثير للدهشة والريبة أن يسارع هذا الراقي إلى ذكر أسماء الأموات، ويمتنع باسم الأمانة عن ذكر أي اسم من أسماء الأحياء؟!.

سبق للراقي «بلحمر» أن ذكر في جريدة وطنية أخرى أنّ الشيخ عبد الرحمن شيبان كان قبل وفاته عضوًا في الجمعية العالمية للرقية التي أسسها وأطلق عليها اسم «بشائر الشفاء».

وحقيقة الأمر أنّ الراقي «بلحمر» كان قد زار الشيخ عبد الرحمن شيبان -رحمه الله- في بداية شهر سبتمبر 2008م، بتوصية من أحد كبار أصدقاء الشيخ شيبان، واغتنم الراقي فرصة لقائه بالشيخ في مقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لالتقاط صور معه، ثم أرسل نسخًا من هذه الصور الفتوغرافية إلى بعض الجرائد الوطنية ليؤكد معرفته وصلته برئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وللأسف فقد استخدم قبل هذا الراقي «بلحمر»شخصا آخر هذا الأسلوب الملتوي، وهو»حسن قباني» المدير العام لشركة «جيزي» للهاتف المحمول الذي قام بزيارة الشيخ عبد الرحمن شيبان في مارس 2008م، بعد أن تعرّض مالك الشركة الأم «أوراسكوم تليكوم» الملياردير القبطي المصري «نجيب ساويرس» لحملة تتهمه بتمويل حركات التبشير في الجزائر، فأخذ قباني صورًا مع الشيخ شيبان وأرسلها لبعض الصحف ليظهر أنّ علاقات الشركة مع الرموز الإسلامية في الجزائر على أحسن ما يرام.!!

كان الشيخ عبد الرحمن شيبان -رحمه الله- رجل حوار ومصالحة وانفتاح، ولكنّه كان أيضا عالمًا سنيًا تقيًا عارفًا بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهدي السلف الصالح، والميراث الفكري والإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فلذلك لا أعتقد أنه يغيب عن عالم مثله أن الأولى والأتقى في عموم الرقية هو أن يقرأ الإنسان على نفسه وأهله اقتداء بالرسول الكريم سيّدنا محمد- صلّى الله عليه وسلّم- الذي قالت عنه زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة -رضي الله عنها- :في الحديث المتفق عليه «أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلّما اشتّد وجعه، كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها» وقالت أيضا :»كان الرسول- صلى الله عليه وسلم- إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات».

ومن هنا ندرك أنّ الرقية أمر مشروع بالقرآن الكريم لقوله تبارك وتعالى في الآية 82 من سورة الإسراء {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

وهي أمر مشروع كذلك بالسنة النبوية الشريفة لقوله صلى الله عليه وسلم: «اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقية ما لم يكن شرك». والمسلم المؤمن يبدأ برقية نفسه بآيات الرقية الثابتة في القرآن الكريم وأشهرها الفاتحة وآية الكرسي، والمعوذتان، وكذلك بالأدعية المأثورة من السنة النبوية الشريفة، والشيخ عبد الرحمن شيبان، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن غير مدرك لهذه الحقائق الدينية، حتى وإن كانت الرقية من طرف الغير جائزة شرعًا لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» (يقصد الرقية من طرف الغير).

ولكن من أهم شروط الرقية الشرعية أن لا يعتقد الراقي أنّ الرقية تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى، وأنّ الراقي هو الذي يشفي المرض، ويذهب العلل، فهذا شرك بالله تبارك وتعالى، الذي هو الشافي ومذهب البأس.

أما الرقية فهي مجرّد طلب الاستشفاء بالطرق الشرعية المأثورة، ولذلك عندما جاء الراقي «بلحمر» إلى الشيخ عبد الرحمن شيبان ليطلب منه الحصول على تزكية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعمله، أحاله الشيخ شيبان -رحمه الله- على الداعية الشيخ «حيرش بن عودة» المراقب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعروف بنشاطه الدعوي في ولاية غليزان التي يتخذها الراقي «بلحمر» مقرًا لجمعية «بشائر الشفاء» ومكانًا لممارسة عمله في الرقية، وقد أبدى الشيخ حيرش -يحفظه الله- تحفظه على منح تزكية جمعية العلماء المسلمين للراقي «بلحمر» الذي يبدو أنّه كان يتخذ من القيام بالرقية مهنة ووسيلة للشهرة وأغراض أخرى...ولم أقرأ في الحوار الذي أجري مع الراقي «بلحمر» ما يدل على أنّه ينسب شفاء المرضى والممسوسين والمسحورين إلى الله تبارك وتعالى، بل إنّ أجوبته تدل على أنّه يفاخر بقدرته على الشفاء وقهر السحرة وترويض الجنّ؟!..

حديث الإصلاح

ماذا خسرت الجزائر بتغييب جمعية العلماء؟ ½

هذا العنوان كان لندوة نظمها حزب «جبهة الجزائر الجديدة» في مقره الوطني بتليلملي، وشاركت فيها بكلمة، أردت لملخصها أن يكون موضوع هذا الأسبوع في حديث الإصلاح، وهو في حلقتين: الحلقة الأولى تتكلم عن ظروف منع الجمعية من العمل بعد الاستقلال، والأسس التي بنى عليها العلماء مشروعهم الاستقلالي، والحلقة الثاني الإجابة عن السؤال «العنوان».

بقلم: الأستاذ التهامي مجوري
m_touhami@yahoo.com

فبعد استرجاع السيادة الوطنية، منع العلماء من العودة إلى تنظيم أنفسهم كهيئة وطنية، لمواصلة رسالتها الحضارية، ومواصلة العمل التحرري الاستقلالي، الذي يفصل الجزائر عن فرنسا، فصلا حقيقيا كما فصل البحر الأبيض المتوسط بينهما، شرعت آلة الهدم والتشويه والتنكب لكل ما هو وطني صادق، ظاهرها التفسير الحزبي، وباطنها حرمان البلاد من الجهود المخلصة.

فهذه النظرة الحزبية، التي حرمت الجزائر من عودة جمعية العلماء، قد حرمتها من طاقات أخرى فاعلة من السياسيين؛ لأن النظرة الحزبية الضيقة، لا تتسع عادة إلى تلمس إيجابيات الخصوم، سياسيين كانوا أو غيرهم، وسيلاحظ المتتبع لحركة النظام بعد الاستقلال أن فئات عريضة من السياسيين قد همشت بسبب قناعاتهم السياسية قبل الثورة، مثل تهميش المركزيين في فترات، وإبعاد كل من ليس يساريا في فترات مماثلة.

وهذا المنع لم يكن له ما يبرره إلا هذه النظرة الحزبية الضيقة، حيث عوملت الجمعية على أنها طرف حزبي، مثل حزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي وأحباب البيان وغيرهم، ثم لم تكتف هذه النظرة الحزبية بمنع الجمعية من العودة إلى النشاط، وإنما ذهبت بحاكمها إلى هذه النظرة حتى في مسارها التاريخي قبل الثورة، حيث تقرر فيما بعد وفيما يقدم إلى الأجيال في مادة التاريخ، أن الجمعية حركة اندماجية لا تؤمن بالاستقلال ولم تكن تطالب به، ثم تطورت هذه الفكرة الحزبية إلى أن الجمعية لم تشارك في الثورة.. وإلى ما هنالك من الأمور التي لا يصدقها عاقل، والعجب أن هذه النظرة شملت بعض المثقفين وبعض المتخصصين في مادة التاريخ من الحزبيين.

لقد أنشئت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تقوى من الله من أول يوم؛ لأن بُناتها من الأتقياء الصالحين والعلماء العاملين الذين ارتبطوا مصيريا بالإسلام، والذي ربط نفسه ومصيره بالإسلام لا يمكن أن تشتم منه إلا رائحة الإخلاص والتفاني في تلمس الطرق المؤدية إلى الصلاح في الدنيا وإلى النجاة من عذاب الله في الآخرة، وفي أفضل السبل لاستقلال البلاد وتحرير العباد.

بنى العلماء جمعيتهم على مبدأ واضح وهو مطاردة الاستعمار في ثلاثيته المعروفة -الجزائر فرنسية، اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية، التنصير- فكان رد العلماء بجمعيتهم المباركة على هذه الثلاثية، بشعارهم الخالد «الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا»، واستمرت الجمعية على هذا النهج، في تحريك الهمم وربطها بالقيم الإسلامية الفاضلة، ودعوة الناس إلى كل ما يميزهم عن العدو الفرنسي في جميع المجالات وعلى رأسها اللغة التي هي لغة الدين والدنيا وغيرها من الأمور، في المأكل والملبس والمعاملة، إلى أن اندلعت الثورة.

وهذه الثلاثية -الإسلام والعربية والجزائر، ليست شعارا عنصريا انعزاليا، وإنما هي شعار حضاري إنساني كامل الشكل والمضمون، وهو المشترك التاريخي بين جميع الجزائريين، سواء كانوا أحزابا أو جمعيات أو أفراد، وهو الشعار المضاد لطروحات الاستعمار، ولذلك اعتبر سياسيون وإعلاميون من الفرنسيين أن تأسيس جمعية العلماء كان بداية لنهاية فرنسا؛ لأن الجمعية وضعت يدها على الجرح.

فالإسلام: هو دين الله الخالد الذي ارتضاه الله دينا للبشرية جمعاء {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[آل عمران: 19]، {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران: 85].

والدين بوصفه مشروعا كامل التصور لله والإنسان والكون، وليس كما يفهمه النصارى تبتلا ورهبانية وابتعادا عن الدنيا، أو كما مارسه اليهود اصطفاء لطائفة من الناس دون غيرهم تمثيلا لله في الأرض، وإنما هو تفاعل إيجابي مع حركة الكون في اتجاه ما يصلح الإنسان عامة وفي جميع المجالات، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالإنسانية.

والعربية: لكونها لغة القرآن ولغة محمد، صلى الله عليه وسلم، والانتماء إليها ليس انتماء لعرق وإنما هو انتماء للغة التي اختارها الله لمخاطبة البشرية جمعاء وليس لمخاطبة العرب وحدهم، وقد اختارها الجزائريون اختيارهم للدين، وكان بمكن أن يختاروها لغة لدينهم، ويبقوا على لغتهم الأصليه -الأمازيغية- لو كانت لغتهم مكتوبة كما هو الحال عند المسلمين في فارس والهند وجنوب شرق آسيا، فقد استمروا في التعامل الإداري بلغاتهم واستقبلوا العربية لغة لدينهم، فأغنوا لغاتهم الأصلية بالدين الجديد ولغته التي كانت أرقى من لغاتهم، وبحكم أن لغتنا الأصلية كانت لغة محكية وليست مكتوبة، فقد رحب أجدادنا بلغة القرآن لغة للدين وللتعامل الإداري، وبقيت لغتنا لغة محكية للتعامل الاجتماعي، فاندثرت في بعض المناطق وبقيت في مناطق أخرى.

والجزائر: هي الوطن الذي احتلته فرنسا وتريد إلحاقه بها، وهو في دوائر الانتماء الطبيعية، الدائرة الثانية بعد الأسرة، وهو المساحة الحضارية الصغرى التي لا يوجد ما يصغرها إلا دائرة الأسرة، ومنها المنطلق لجميع ما يطمح إليه الإنسان.

فالذي لا يخدم وطنه لا يمكن أن ينفع غيره إلا كعبد طيع لمال أو جاه أو سلطان.

يتبع

توضيـــــح و رد

بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد:
-1 على اثر الضجة الإعلامية التي أحدثتها حصة« هذه حياتي» التي بثتها قناة طالشروق تي في» والتي تناولت فيها حياة المسمى بلحمر أبو مسلم في أجزائها الثلاثة
2 -بناء على حق الرد والتوضيح الذي يكفله قانون الإعلام.
3 - وانطلاقا من رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين القائمة على محاربة البدع والخرافات والشعوذة كما تنص عليه المادة الثانية من قانونها الأساسي.
-4 واستنادا إلى التصريحات الخطيرة والخاطئة التي وردت على لسان هذا الشخص من خلال الحصص الثلاث.
-5 وبغية تنوير الرأي العام بحقيقة الأمر فإننا نؤكد ما يلي:
أ- ثبت بالدليل وبالإقرار بان هذا الراقي يتعامل مع الجن من أول وهلة ومنذ أن كان عمره خمس سنوات كما جاء على لسانه وذلك مع الجنية المسماة طاووس وانتهاء بادعائه أن له أصدقاء من الجن يلتقي بهم يوميا مما يؤكد أن العملية لا علاقة لها بالرقية الشرعية وإنما هي شعوذة مقنعة بغية استغفال عقول الناس وابتزاز أموالهم.
ب - ادعى هذا الراقي في أكثر من مناسبة أن ما يعانيه الناس من ماسي ومعاناة وأمراض وحالات انتحار وعقم وما إلى ذلك وراءه الجن مما يوحي للسامعين والمتابعين بان للجن سلطانا على حياة الآدميين بالجملة وفي هذا نسبة لبعض صفات الله تعالى إلى الجن مما يعطل كل الأسباب الأخرى كالعوامل النفسية والاجتماعية والظروف الاقتصادية والانحلال الأخلاقي وهذا القول قد يجر صاحبه إلى دائرة الشرك والعياذ بالله.
ج- ادعى هذا الشخص أن شخصيات سياسية وعلمية مرموقة زارته لترقي عنده ومن بينهم الشيخ عبد الرحمن شيبان- رحمه الله- رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السابق وعضو المجمع الفقهي بجدة وأحد مؤسسي الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين وتلميذ الشيخ ابن باديس الذي كرس حياته لمحاربة البدع والخرافات وفي هذا كذب وافتراء على الأموات والحقيقة التاريخية تكمن في أن هذا الشخص زار الشيخ شيبان بمقر الجمعية بالعاصمة سنة 2008 ليعرض عليه رقيته ومدى موافقتها للشرع ولما علم الشيخ أصل هذا الراقي وولايته اعلمه بان للجمعية من يمثلها في ولاية غليزان وكان يقصد صاحب هذا الرد الأستاذ بن عودة حيرش عضو المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين وبعدها مباشرة كلمني الشيخ شيبان هاتفيا ليعلمني بحقيقة الزيارة وموضوعها معلنا أن الجمعية تؤيد ما يوافق الشرع وتعارض ما يعارضه، ولما استفسرت من فضيلته إن كان قد منحه تزكية أو شيئا مكتوبا قال بالحرف الواحد: وهل أفعل ذلك دون استشارتكم.
واختتمت الزيارة بالتقاط صورة تذكارية مع الشيخ رحمه الله وهي التي استغلت ذات يوم إعلاميا.
د_ من الادعاءات والافتراءات أيضا استشهاده برأي الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله- بنفيه ظاهرة الصرع والتلبس وهو موقف مشهور للشيخ الغزالي أعلن عنه في أكثر من مناسبة والغريب في الأمر أن هذا الراقي ادعى زورا أن الشيخ الغزالي تراجع عن رأيه هذا في أخريات أيامه وهذا ما لم يقل به أحد من دارسي تراث الشيخ الغزالي ولا احد من مقربيه.
هـ- ومن افترائه على الأموات أيضا ادعاؤه أن الذي علمه فنون السحر والشعوذة في صباه هو الشيخ الجوهري المعروف في الوسط الغليزاني بالشيخ الأعمى ودعما لافترائه هذا جلب في أول عدد من حصة «هذه حياتي» زوجة هذا الشيخ وأجلسها إلى جنبه مستغفلا إياها حيث لم تبد أي تصريح وهذا الشيخ معروف في مدينة غليزان في السبعينيات بحفظه لكتاب الله وإمامته للمصلين في صلاة التراويح وتعليمه لمبادئ اللغة العربية في المساجد ولا علاقة له بالرقية ولا السحر ولا الشعوذة وقد توفي -رحمه الله- سنة .1984
لأجل هذه الدواعي وإبراء للذمة كان لزاما علينا أن نوضح للناس عامة الحقيقة كما هي ونتحمل مسؤوليتنا كاملة على هذا الرد كما ندعو أهل الشأن من سلطات محلية وجهات وصية ومجتمع مدني للوقوف ضد هذه المهزلة.
الجمعة1 جمادى الثانية 1434
12افريل 2012

ا. بن عودة حيرش
عضو المكتب الوطني
لجمعية العلماء المسلمين
الجزائريين
المراقب العام

الأسرى الفلسطينيون في سجون العدو الصهيوني

إعداد : الشيخ عنبر

بلغ إجمالي عدد الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي 4610، موزعين جغرافيا على الضفة الغربية 3930 أسير، (منهم 153 من مدينة القدس) وقطاع غزة 456، إضافة إلى 192 أسيرا من داخل فلسطين المحتلة عام 1948، و32 أسيراً من أسرى الدوريات (الحدود).

ووفقاً للإحصائية التي نشرتها الحملة الشعبية لإطلاق سراح المناضل القائد مروان البرغوثي وكافة الأسرى نقلاً عن مصادر رسمية في إدارة السجون والتي تغطي الفترة حتى بداية الشهر الجاري يوجد 320 أسيرا محكوما بالسجن الإداري، كما بلغ عدد النساء الأسيرات 5، وبلغ عدد الأطفال الأسرى ما دون سن 18 عاماً 203 منهم 31 طفلاً ما دون سن 16 عاماً.

من ناحية مدة الحكم الصادرة بحق الأسرى المحكومين، فهي على النحو التالي: 527 محكومون بالسجن مدى الحياة، 449 أسيرا محكوما بالسجن لأكثر من 20 عاماً، 447 أسيرا محكوما بالسجن لفترة تزيد عن 15 عاماً وتقل عن 20 عاماً، بينما بلغ عدد الأسرى المحكومين بالسجن من 15-5 عاماً 1259 أسيراً و398 محكوما بالسجن ما دون 5 سنوات.

الأرقام الواردة تشير إلى أن نحو 64% من أجمالي الأسرى ممن صدر بحقهم حكمٌ بالسجن الفعلي هم محكومون لفترة تزيد عن 10سنوات.

وفقاً للانتماء السياسي للأسرى بلغ عدد الأسرى من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية مجتمعة 2397 أسيراً منهم 2086 من أسرى حركة فتح، و259 من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بينما بلغ عدد أسرى حركتي حماس والجهاد الإسلامي 1538 منهم 1075 من حركة حماس. وبذلك تبلغ نسبة أسرى حركة فتح نحو 50% من مجمل عدد الأسرى المنتمين لفصائل سياسية فلسطينية (البالغ عددهم 4138)، يليها أسرى حركة حماس بنحو 26% فالجهاد الإسلامي 11% ثم الجبهة الشعبية 6%.

كما تشير الحملة الشعبية في تقريرها إلى أن الأرقام السابقة لا تشمل الأسرى الموقوفين الذين اعتقلوا من تاريخ 12/3/2012.

مارست السلطات الإسرائيلية العديد من وسائل التعذيب والضغط الجسدي والنفسي، وفيما يلي جزء من هذه الوسائل:

تغطية الوجه والرأس: حيث يتعرض المعتقل لتغطية وجهه بكيس قذر؛ مما يؤدي إلى تشويش الذهن وإعاقة التنفس.

- الشبح: أي وقوف أو جلوس المعتقل في أوضاع مؤلمة لفترة طويلة، وغالباً ما يتم إجلاس المعتقل على كرسي صغير، لا تتجاوز قاعدته 25سم × 25سم، وارتفاعه حوالي 30سم وتقيد يداه إلى الخلف.

- الحرمان من النوم: حيث يحرم المعتقل من النوم لفترات طويلة.

- الحبس في غرفة ضيقة: حيث يحبس المعتقل في زنزانة ضيقة جداً، يصعب فيها الجلوس، أو الوقوف بشكل مريح.

- الحرمان من الطعام: حيث يحرم المعتقل من بعض الوجبات الغذائية إلا بالقدر الذي يبقي المعتقل حياً، ولا يتم إعطاء المعتقل الوقت الكافي لتناول الطعام.

- الضرب المبرح: حيث يتعرض المعتقل للصفع والركل والخنق، والضرب على الأماكن الحساسة، والحرق بأعقاب السجائر، والتعرض للصدمات الكهربائية.

- التعرض للموسيقى الصاخبة: حيث يتعرض المعتقل للموسيقى الصاخبة التي تؤثر على الحواس.

- التهديد بإحداث إصابات وعاهات: حيث يتم تهديد المعتقل بأنه سوف يصاب بالعجز الجسدي والنفسي قبل مغادرة التحقيق.

- الحط من كرامة المعتقل: حيث يرغم المعتقل على القيام بأمور من شأنها الحط من كرامته، مثل: «إرغام المعتقل على تقبيل حذاء المحقق».

- تهديد المعتقل بالاغتصاب والاعتداء الجنسي عليه أو على زوجته وذويه.

- اعتقال الأقارب من أجل الضغط على المعتقل.

- حبس المعتقل مع العملاء: حيث يتم وضع المعتقل مع مجموعة من العملاء الذين يعملون لحساب المخابرات الإسرائيلية.

- أسلوب الهز: حيث يقوم المحقق بالإمساك بالمعتقل، وهزه بشكل منظم وبقوة وسرعة كبيرة من خلال مسك ملابسه، بحيث يهتز العنق والصدر والكتفان؛ الأمر الذي يؤدي إلى إصابة المعتقل بحالة إغماء ناجّة عن ارتجاج في الدماغ.

- عرض المعتقل على ما يسمى بجهاز فحص الكذب.

- تعريض المعتقل لموجات باردة شتاء، وموجات حارة صيفاً، أو كليهما معاً.

- حرمان المعتقل من قضاء الحاجة.

- إجبار المعتقل على القيام بحركات رياضية صعبة ومؤلمة «وضع القرفصاء، أو جلسة الضفدع لفترة طويلة، وفي حالات يضع المحقق الكرسي لضمان عدم تحرك السجين».

وكان تقرير أعدته مؤسسة بتسليم الإسرائيلية في حزيران 1998، قد أكد أن أكثر من 850 سجيناً فلسطينياً يتعرضون لأشكال متنوعة من التعذيب كل سنة، وأن محققي الشاباك يستخدمون أثناء تحقيقهم واستجوابهم للمعتقلين الفلسطينيين أكثر من 105 وسائل للتعذيب.

القضية الفلسطينية إلى... أين؟!

الأستاذ : محمد الحسن أكيلال

توظيف الزمن مرة أخرى كـيـري في القدس و رام الله

يبدوأن الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» المنتخب لعهدة ثانية قد حسم أمره وانضم نهائيا إلى معسكر اللوبي الصهيوني في بلاده واعتنق نهائيا ايديولوجية المحافظين الجدد وآمن إيمانا راسخا بعقيدة الكنيسة الإنجيلية المعمدانية القريبة جدّا من دولة إسرائيل، بل الراعية لها والمدافعة بشراسة عن مخططاتها، لذلك فبمجرّد تعيينه لوزير الخارجية الجديد «جون كيري» أرسله إلى فلسطين المحتلة ليوصل ما انقطع من ودّ بين رئيسه ورئيس وزراء الكيان الصهيوني خلال الحملة الانتخابية من جهة، وليوصل ما انقطع بين الحكومة التركية والحكومة الإسرائيلية من جهة أخى بعد حادثة سفينة مرمرة.

لقارئ الظهر عن الزيارة أن يرى أن الرئيس الأمريكي «باراك حسين أوباما»، يسعى بعمله هذا إلى تهدئة الأوضاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين حتى لا تندلع انتفاضة ثالثة ستكون الشرارة التي تلهب كل المنطقة التي تعرف حرائق متعددة على امتداد خارطة الشرقين الأدنى والأوسط، وبلاده التي تمر بأزمة مالية واقتصادية خانقة لا تستطيع القيام بما من شأنه إطفاؤها ولا حتى مجرّد الدفاع المطلوب عن دولة الكيان الصهيوني التي تعتبر الولاية الواحدة والخمسين بالنسبة لأمريكا، فهو بهذا مرغم على بذل الجهود الديبلوماسية والسياسية للوقاية من أي انزلاق يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

لكن للقارئ للباطن لهذه الزيارة أن يجد فيه أن هذه التهدئة تدخل في سياق توظيف الزمن واستغلاله من طرف دوله الكيان الصهيوني لانجاز ما لم ينجز وتحقيق ما لم يحقق من برامجها ومخططاتها للاستيلاء على بقية الأراضي المحتلّة عام 1967 وتهويد كل فلسطين بما في ذلك مدينة القدس الشرقية.

لقد كان أول تصريح للرئيس يتضمن نصيحتين، أولاهما لكل العرب أن يعملوا على تطبيع العلاقات مع دولة إسرائيل، وثانيهما للفلسطينيين ليعترفوا بيهودية دولة إسرائيل، وكأنه يعتبر أن كل العرب وكل الشعب الفلسطيني أغبياء، ومحدودية ذكائهم لا يبلغ بهم إلى فهم محتوى هاتين النصيحتين على أنهما إقرار بالحق اليهودي في أرض المعاد، «يهودا والناصرة، وأن الفلسطينيين هم المحتلّون الغزاة لأرضهم التاريخية وليس العكس.

للرئيس أوباما أن يعي أن كل ما جرى ويجري في الخارطة السالفة الذكر من أفغانستان إلى مالي والصحراء الغربية بسبب دولة الكيان الصهيوني ولأجلها، والحق لن يضيع ما دام وراءه طالب.

على الرئيس الأمريكي وكل الإدارة الأمريكية أن يفهموا جيدّا بأن القرن الحالي من تاريخ المنطقة هوقرن استعادة الحق الشرعي للشعب الفلسطيني، وخروج الجيوش والأساطيل الأمريكية من كل المنطقة، والانسحاب من أفغانستان والعراق سيتبعه الانسحاب من القواعد المتواجدة في الشرق الأقصى ودول الخليج العربي، لأن التاريخ له حكمه وقراره وإرادته، والوسائل التي كانت تستعمل في القرن الماضي للتدخل والاحتلال والسيطرة، سوف تشهد تناقصا وتقلصا إلى حين امتلاك بلدان عربية وإسلامية وسائل الدفاع والمقاومة التي ستطرد كل محتل وناهب للثورات في المنطقة، ولإسرائيل أن تعيد النظر في إستراتيجيتها وكل مخططاتها التوسعية، وتستغل حالة الهدوء الحالية في فلسطين لتعود إلى رشدها وتقبل بإيقاف بناء المستوطنات وتحرير الأسرى الفلسطينيين قبل فوات الأوان.

كاتب جزائري hacen03@live.com

الرقابة المصرفية بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية -02

أ- العلاقة بين البنك المركزي والبنوك الإسلامية: قبل أن نلج في الرقابة المصرفية بشقيها التسييري والمالي، علينا أن نوضح العلاقة التي تربط البنك المركزي بالبنوك الإسلامية في ظل نظامين مختلفين، ألا وهما:

- في ظل النظام المصرفي الإسلامي.

- في ظل النظام المصرفي التقليدي.

ذلك أن الأمران يختلفان تماما، فهنالك دول قامت بأسلمة نظامها المصرفي مثل باكستان وإيران، وهنالك دول أخرى قبلت بإنشاء بنوك إسلامية في ظل نظامها المصرفي التقليدي، لذا سنقوم في هذا العنصر بإيضاح الاختلاف بين الشكلين على أن نركز بعدها على الشكل الثاني، ذلك أنه الغالب في الواقع التطبيقي.

1. العلاقة في ظل النظام المصرفي الإسلامي: أشرنا من قبل أن هناك دولا إسلامية قامت بأسلمة نظامها المصرفي بأجمعه، مثل السودان وباكستان وإيران، وبالتالي فإن نظامها النقدي يعتبر إسلاميا، وإذا فإن علاقة البنك المركزي بالبنوك الإسلامية في هذه الدول تتحدد من خلال العناصر التالية:

- أن يتقيد البنك الإسلامي بالتعليمات الصادرة من البنك المركزي الإسلامي، ويخضع لإشرافه وتفتيشه.

- أن يتقيد البنك الإسلامي بتوجيهات البنك المركزي في مجال الاستثمار، ذلك أن البنك المركزي يمكن أن يضع خطة للاستثمار مبنية على مقاصد الشريعة الإسلامية التي تراعي الأولويات الاقتصادية، وبهذا يمكن أن ينتقل دور البنك المركزي الإسلامي من مجرد توجيه عرض النقود والتحكم فيه إلى توجيه الاستثمار نحو أوجه الصناعة والزراعة وغيرها من القطاعات الاقتصادية خدمة للتنمية الاقتصادية في البلد.

- يمكن للبنك المركزي أن يقوم بدور المكتب الفني الذي يقوم بتقييم فرص الاستثمار المختلفة وطرحها بين البنوك الإسلامية وتحديد معدل الربح في كل فرصة استثمارية.

- وبوصفه بنك البنوك، فإن البنك المركزي الإسلامي يفرض على البنوك الإسلامية أن تودع لديه فوائضها المالية على أساس القرض الحسن، أو على أساس المشاركة في الربح والخسارة، على أن يقوم بتمويل مشاريعها بالمقابل عند حاجاتها للتمويل على أساس المعاملة بالمثل، إما بالقرض الحسن، أو بالمشاركة في الربح والخسارة.

2. العلاقة في ظل النظام المصرفي التقليدي: نجد هذه العلاقة في الدول التي اهتمت بالبنوك الإسلامية وأولتها عناية خاصة، حيث قامت بإصدار القوانين اللازمة لضمان السير الحسن لها، وبالتالي فهي مسيرة ومنظمة وفق قوانين خاصة بها، مما يضع الوضوح أمام أي مبادرة لإنشاء مثل هذه البنوك في هذه البلدان.

ونجد أيضا بلدانا أخرى استقبلت البنوك الإسلامية لكن في ظل قوانينها السابقة مع بعض الاستثناءات، وبالتالي فإن قوانينها المصرفية لم يتم أقلمتها مع طبيعة العمل المصرفي الإسلامي، مما يجعل الطريق صعبا أمام البنوك الإسلامية في هذه الدول.

بصفة عامة يمكن تحديد علاقة البنك المركزي بالبنوك الإسلامية في ظل النظام المصرفي التقليدي كما يلي:

- يتقيد البنك الإسلامي بالتعليمات الصادرة من البنك المركزي في إيداع العملات الأجنبية وسحبها.

- يودع البنك الإسلامي نسبة معينة من مجموع ودائعه في شكل نقد لدى البنك المركزي، وذلك حفاظا على مركزه المالي وحفاظا لحقوق المودعين والمستثمرين والمساهمين، حيث أن هذه النسبة تختلف من بلد لآخر، وهذه الودائع يعطي عليها البنك المركزي فوائد للبنوك التجارية التقليدية، لكن البنوك الإسلامية لا تأخذها باعتبار أنها ربًا محرما.

- بما أن البنك المركزي هو الملجأ الأخير للبنوك التجارية التقليدية إن احتاجت للسيولة النقدية فإنه يقرضها بناء على الفائدة، أما بالنسبة للبنوك الإسلامية فإنها لا تستفيد من هذه التسهيلات التي يمنحها البنك المركزي، نظرا لارتكازها على الفائدة التي لا تتعامل بها البنوك الإسلامية أخذا وعطاء، لذلك فإن هذه البنوك تعاني من مشكلة المقرض الأخير في هذه الدول.

- يلجأ البنك المركزي إلى الاقتراض - تنفيذا للسياسة النقدية - من البنوك التجارية عن طريق بيع السندات بفوائد، لكن البنوك الإسلامية تعتبرها من باب الإقراض بالفائدة، لذلك استحدثت بديلا لهذه السندات مثل سندات المقارضة المبنية على المشاركة في الربح والخسارة.

- يقدم البنك المركزي إلى البنوك التجارية التقليدية خصما خاصا بعمليات التصدير يقوم على أساس الفائدة، لكن البنوك الإسلامية لا تقبل التعامل بالفائدة مما يجعلها تفوّت على نفسها فرصة مهمة في توسيع دائرة نشاطاتها.

- يقوم البنك المركزي بتحديد سقف الائتمان الإجمالي الذي يمنحه أي بنك في مدة معينة، ويطبق ذلك على البنوك الإسلامية، علما أن تمويلاتها تكون على سبيل المشاركة في الربح والخسارة عن طريق الاستثمار وليس عن طريق القرض، وبالتالي فإن تقييدها بالسقف الائتماني يعتبر عائقًا لها في ممارسة نشاطاتها المختلفة تماما عن البنوك التقليدية.

- كما يحدد البنك المركزي نسبة رأس المال إلى الودائع، وذلك لتحقيق الأمان للمودعين، ويطبق ذلك على جميع أنواع الودائع، لكن هذا ممكن بالنسبة للبنوك التقليدية، أما بالنسبة للبنوك الإسلامية فإن الودائع لأجل والودائع الادخارية لا تعتبر قرضا، وإنما تعتبر ودائع استثمارية، تخضع للربح والخسارة، فلا يمكن تطبيق هذه النسبة لأن البنك الإسلامي ضامنا لها.

- يقوم البنك المركزي بعمليات التفتيش على كل البنوك بما فيها البنوك الإسلامية، وذلك بإجرائه لزيارات ميدانية، للتأكد من صحة المعلومات المقدمة من طرفها، وذلك عن طريق الفحص المفاجئ للقيود والسجلات المحفوظة لديه، وإجراء المطابقة بينها وبين البيانات المقدمة.

والشيء الذي يجب أن نشير إليه هو أنه لا يمكن أن تكون نمطية العلاقة واحدة في شبكة العلاقات مع البنك المركزي، وإذا فإن أطر تنظيم العلاقة بين البنك المركزي والبنوك الإسلامية لا يمكن أن تكون نموذجية وموحدة في مختلف البلدان، وذلك لأسباب موضوعية أهمها:

- اختلاف القوانين المصرفية وجهات المرجع في الدول، وكذا اختلاف الدول من عربية وإسلامية أو أجنبية.

- تباين ظروف التأسيس والأهمية التي توليها الدول لتأسيس بنك إسلامي، وبالتالي المرونة التي تبديها.

- اختلاف الأنظمة الأساسية وعقود التأسيس للبنوك الإسلامية من حيث التفصيل أو الإيجاز من حيث النهج العام، تجاري أم استثماري، كلي أو جزئي.

- النشاطات المقترحة للبنك، كإيداع جاري، أو حسابات استثمارية، أو عمل تجاري، أو تأجير أو وساطة مالية...إلخ.

ولقد اتسمت علاقات البنوك المركزية بالبنوك الإسلامية بالتناول الجزئي في أغلب الأحوال، وبدراسة الحالات الفردية والمستجدة، وفي ذات الوقت تميزت العلاقة بالتجاذب بين أخذ ورد، بين مطالب وقيود.

وبدون التقليل من الإيجابيات الكثيرة للتعاون والتعامل في بعض البلدان، إلاّ أن العلاقة لم تستو بشكل قويم وواضح إلاّ في الحالات التي تأسس فيها البنك الإسلامي بموجب قانون أو مرسوم خاص، أو في الحالات القليلة التي يسود فيها قانون واحد لتنظيم العمل المصرفي الإسلامي في ذات البلد وهو الشكل الأمثل للتعامل...ولقد تم تسجيل العديد من حالات الحوار الإيجابي والنقاش المبدئي في بعض الدول سواء لغاية إعداد قانون عام للبنوك الإسلامية، أو تعديل وتطوير قانون/مرسوم تم بموجبه إنشاء بنك إسلامي.

إضافة إلى ذلك فإن الاجتماعات السنوية للجنة الخبراء المشتركة من البنوك المركزية والبنوك الإسلامية في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، تظهر الكثير من التقدم لتأطير وتوثيق التعاون والتعامل بين البنوك المركزية والبنوك الإسلامية.

أ) الرقابة على التسيير: ويكون ذلك بالاستعانة بعدد من الأدوات المعتمدة لدى البنوك المركزية، كمعامل الملاءة، ومعامل السيولة والمعامل الأقصى لتوزيع المخاطر.

وسنتناول في هذا العنصر هذه الأدوات لنرى كيف يمكن أن يراقب البنك المركزي -رقابة تسيير- البنوك بصفة عامة، والبنوك الإسلامية بصفة خاصة، وكذا المشاكل المرتبطة بذلك واقتراحات حلّها.

1 معامل الملاءة: ويقصد به نسبة رأس المال إلى الودائع، حيث تتطلب القوانين في البنوك التوفر على رأس مال كاف، يعكس جدية المساهمين وعدم الاعتماد على الأموال المودعة من طرف العملاء، التي تكون أكثر ضخامة من رأس مال البنك.

وبالتالي لابد أن يتدخل البنك المركزي للحفاظ على مصالح المودعين، وذلك بأن تكون نسبة رأس المال إلى مجمل الودائع توافق النسب المفروضة من طرفه، وهذا تأمينا لمصالح أصحابها، وذلك بوضع نسبة للربط بين أموال البنك الحرة وبين حجم الودائع لديه، سواء تحت الطلب أو لأجل، حيث تغطي أي خسارة قد تصيب البنك، وتحول دون أن تتأثر الودائع بها، وتسمى معامل الملاءة، الذي يعزّز الضمانات الممنوحة للمتعاملين مع البنك.

إذا كان ما سبق ينطبق على البنوك التقليدية، التي تتميز علاقتها مع زبائنها بأنها علاقة دائنية ومديونية، فهل هذا ينطبق على البنوك الإسلامية التي تتميز علاقتها مع زبائنها بأنها علاقة مشاركة مبنية على أساس الغنم بالغرم؟ أي هل يفرض البنك المركزي نفس النسب المتعلقة بمعامل الملاءة على البنوك الإسلامية؟

يتبع

الدكتور فارس مسدور
أستاذ بجامعة سعد دحلب بالبليدة
خبير في الإقتصاد الإسلامي

رؤيـــة

بقلم : الدكتور مسدور فارس
abouabdelbassetfares@yahoo.fr

خمسين سنة من اقتصاد غريب عن الجزائريين

عندما ننظر لتاريخ اقتصاد بلادنا نكتشف أننا عشنا أنظمة اقتصادية غريبة عن عاداتنا وتقاليدنا وحتى عقيدتنا وشريعتنا، وبشكل عام كانت أنظمة اقتصادية غريبة عن الشعب الجزائري، فكانت الاشتراكية حتى ظن العالم أننا اشتراكيين أكثر من الدول الشيوعية ذاتها، وحدثت الأزمات الاقتصادية تتلوها أزمات فقيل لنا أن سبب أزماتنا تمسكنا بالنظام الاشتراكي المركزي الذي دعم ووسع القطاع العام وتدخل الدولة في كل صغيرة وكبيرة.

وتفاقمت الأزمة ودخلنا في نفق مظلم اسمه صندوق النقد الدولي فنصحنا وقبلنا نصيحته وقال ولاة أمور اقتصادنا آنذاك الحل أن نفتح الاقتصاد ونُخوصص ما عمّمناه وسرّحنا العمال وبعنا مؤسساتنا العمومية بالدينار الرمزي، هذه المؤسسات التي كانت تطعم وتسقي الشعب الجزائري فسرحنا مئات الآلاف من العمال، والعجيب أن تلك المؤسسات المباعة أصبحت مؤسسات منتجة بعد أن أوحوا إلينا أنها كانت عاجزة وتكاد تفلس ووجب التخلص منها، وأصبح صندوق النقد الدولي يتحكم في كل صغيرة وكبيرة تتعلق باقتصادنا بما في ذلك طبع نقودنا رمز السيادة الوطنية، وذلك بعد أن تفاقمت ديوننا ولم نجد إلا إعادة الجدولة لتلك الديون، فمصّ دماءنا بعد أن كان أحد أسباب إراقتها، وأصبح مسئولونا العظام آنذاك يتغنّون بأغنية اقتصاد السوق وتحرير النشاط الاقتصادي والاصلاحات الاقتصادية العميقة، والدعوة للانضمام إلى الهيئة العالمية المشئومة المسماة (المنظمة العالمية للتجارة).

ولا ندري كيف سمحنا لأولئك الذين تولّوا أمر اقتصادنا أن يقحمونا في مثل هذه المصائب التي دمرت الأمة وسببت لنا شرخا اقتصاديا وأمنيا خطيرا لم تشهد الجزائر مثيلا له منذ استقلالها، والعجيب أن الاتفاقات والقوانين والمشاريع التي لم تكن لتمر مهما كانت الظروف والأسباب لو لم نكن منشغلين بأزماتنا، من أزمة الخبز إلى كل مؤامرة حيكت لتدمير الجزائر ذلك التدمير الممنهج الذي نفّذ بإحكام.

مرّت خمسون سنة، ومازال المسئول عن تسيير اقتصادنا يقول الليبرالية والرأسمالية واقتصاد السوق، والعولمة الاقتصادية، وكل هذه المصطلحات التي يحاول من خلالها إقناعنا بأن هنالك فرصة للإقلاع الاقتصادي لو أننا نتبنى هذه الأنظمة الاقتصادية الغربية عنا وعن عقيدتنا، ولم يفهم إلى الآن أن النظام الاقتصادي يشبه الشجرة المثمرة التي إذا غرست في غير تربتها ومحيطها لن تؤتي ثمارها وأنها ستموت شيئا فشيئا ولو بعد حين.

لذا نقول لهذا المسئول المسكين، لقد اجتهدت وأخطأت خمسين سنة، فلعلَّ غيرك يجتهد مثلما كانت لك الفرصة ويصيب وينقذ اقتصادنا من الخراب الذي أوصلتمونا إليه، اقتصاد لا ينتج سوى 500 مليون دولار خارج قطاع المحروقات ومشتقاته والمستخرجات المنجمية بعد خمسين سنة من الجهد الكاذب، اقتصاد هش ضعيف، أقل أزمة تعصف به، اقتصاد يُطعمه الآخر ويكسوه، اقتصاد يبني له الصيني (عابد الأوثان والأصنام) مسكنه وحتى مسجده الأعظم الذي يرمز لاستقلاله، ماذا تنتظر من اقتصاد ما يزال مرتبطا باقتصاد الدولة التي خربته واستدمرته وتكيد له المكائد في كل وقت وحين منذ ما يقارب القرنين.

أما آن لأفكار الاقتصاد الاسلامي أن تحكم اقتصاد الجزائريين، أما آن لنا أن نبتعد عن الربا التي فتحت حربا من الله علينا (بلد غني وشعب فقير)؟ أما آن لنا أن نعتمد اقتصاد التمويل بالمشاركة والمضاربة الشرعية والاجارة المنتهية بالتمليك، والاستصناع والمغارسة والمساقاة والمزارعة، والتأمين التكافلي، ومؤسسة الزكاة والأوقاف، والتجارة الشرعية الخالية من تجارة وإنتاج المحرمات، اقتصاد فيه السياحة الخالية من الممارسات غير الشرعية، وترقية للمؤسسات الصغيرة والانتاج الأسري باستخدام التمويل الاسلامي والقرض الحسن، والتمويل التكافلي التضامني المبني على التعاون ورفع الغبن عن الناس.

اقتصاد يعطي أهمية بالغة للفلاحة والانتاج الحيواني، حتى لا نبقى دولة مستوردة للحليب واللحوم وغيرها من المشتقات الأخرى.

اقتصاد فيه المعلومات الاحصائية الدقيقة من خلال منظومة إلكترونية تعتمد على الترقيم الالكتروني الموحد للمواطنين، حتى يتم تحديد احتياجاتهم بدقة في شتى المجالات.

اقتصاد يعتمد على تطوير العلوم والبحث العلمي، بما يرسخ فكرة اقتصاد المعرفة والابتكار، والانتاج الفكري، وإعطاء الأولوية للتعليم بكل مستوياته.

اقتصاد ينتج دواءه أو أغلب دوائه ولا يستورد دواء جنيسا مغشوشا لا يصلح لا للعادة ولا للعبادة، اقتصاد يستورد الأجود والأرقى حتى لا يترك الناس يموتون بالمنتجات السرطانية والسموم التي تصدر لنا وللعالم، وكأننا مستهدفون في حياتنا، نموت ببطئ شديد.

اقتصاد يقيم شراكات حقيقية مع العالم الاسلامي والعالم العربي، والدول التي لم تدخل في الفكر المؤامراتي العالمي، اقتصاد لا يحتقر العرب والمسلمين لصالح الغرب المتآمرين عليه.

اقتصاد ينظر للرشوة والفساد على أنها خيانة عظمى للأمة، اقتصاد لا يعفو عن الفاسدين، ولا يسمح لهم بتقلد المناصب بعد أن تورّطوا في قضايا النهب والنصب والكذب على الأمة.

إنه اقتصاد ليس غريبا عن جسد وروح الشعب الجزائري المسلم، الذي نسي مسئولوه الذين حكموا اقتصاده منذ خمسين سنة أنه يمقت الحرام ويعشق الحلال، ولا يرضى أن يطعمه عدوّ الأمس المستدمر الكافر لعنة الله عليه.

لقد تحكمتم في اقتصادنا خمسين سنة فكانت الكوارث تلو الكوارث وأنتم عليها شاهدين، فاتركوا المجال لأفكار الاقتصاد الاسلامي أن تحكم هذا الشعب المسلم المسكين...إننا نشكوكم في كل وقت وحين للجبار القهار رب العالمين... فحسبنا الله ونعم الوكيل فيكم يا ظالمين...

يحلّونــه مكانــا ويحرّمونــه مكانــا

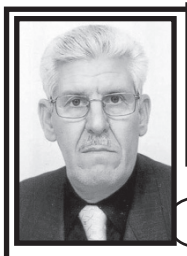

بقلم: محمد الهادي الحسني

حكومتنا «الرشيدة»- كأخواتها السابقة- تؤمن ببعض الكتاب و«تكفر» ببعض، وتطيع الله في بعض الأمر وتعصيه في بعض، وتؤمن ببعض الحديث النبوي الشريف و «تكفر» ببعض؛ فهي تؤمن أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن آمن بعضها ببعض الخرافات والمنكرات، وتؤمن بالصلاة وإن كان بعض أعضائها لا يصلّون، ومن هذا البعض من «كان يعتبر الركوع نوعا من الرّق، وبعضها الآخر يصلّون «صلاة القياد: الجمعة والأعياد»، يراءون بها الناس، وإنها لكبيرة عليهم، ونرجح أنهم يؤمنون بالزكاة، ولكننا لا نعلم إن كانوا يزكّون، وإذا لم يزكوا فربما يعود ذلك إلى عدم توفر شرط النصاب، وربما طمعوا في أن تعطى لهم الزكاة لخصاصتهم، ولا شك في أن أكثرهم يصومون رمضان لا إيمانا واحتسابا؛ ولكن لما يُوَفِّرُ فيه من لذائذ الفواكه، وشهي الأطعمة، والحلويات والمشروبات، والسهرات..وأما الحج فهو على من استطاع إليه سبيلا، وأكثرهم- كما أشرنا- لا يملكون نصاب الزكاة، فكيف يملكون مصاريف الحج، خاصة لمن هم في مقاماتهم الدنياوية.

وقد يكون من أعضائها من لا يعلم الحج ولا ميقاته الزمني، فقد قصّ عليّ صديق أن سائقا عند أحدهم طلب رخصة للحج، فقال له: «خلّ الحج للشهر الجاي على خاطر نحتاجك هذا الشهر»، ظنا منه أن الحج في كل شهر، ولا غرابة في ذلك فقد سمع مسئول «كبير» كلمة «مؤسسة المسجد» فظنها مؤسسة تجارية فتساءل «ما دَخْلُ وزارة الشئون الدينية في الأمور التجارية؟»، وحكومتنا «الرشيدة» تؤمن بأن «الإسلام دين الدولة»، لا لأن الله- عز وجل- ورسوله- عليه الصلاة والسلام- أمرا بذلك؛ ولكن لأن الدستور نصّ على ذلك..ولو آتى الله - عز وجل- أحد أعضائها رشده وطلب تطبيق هذه المادة لسمع ما لا يرضى من القول، ولـ....

من «بدع» حكومتنا «الرشيدة» التي ليست من أمر الله-سبحانه- ولا رسوله- عليه الصلاة والسلام- أنها أحيت منكرا من منكرات بعض العرب الجاهليين، والفرق بين منكر حكومتنا «الرشيدة» وبين منكر العرب الجاهلين هو أن منكر هؤلاء متعلق بالزمان ومنكر حكومتنا «الرشيدة» متعلق بالمكان..

فأما منكر العرب الجاهليين فهو النّسِيّ، أو النَّسِيءُ ، وهو بنص القرآن الكريم «زيادة في الكفر»، حيث جاء في سورة التوبة قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً..}(الآية:37). فالنّسيّ أو النّسيء هو التأخير، وهو هنا «تأخير حرمة المحرّم إلى صفر أيام الجاهية(1)»، و «هذا مما ذمّ الله تعالى به المشركين من تصرّفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرّم الله، وتحريمهم ما أحل الله (2)».

وأما منكر حكومتنا «الرشيدة» فهو ما قامت به من إلغاء الفوائد الربوية على القروض التي تمنحها لشباب الجنوب الجزائري «حيث أقرّت الإجراء بصفة استثنائية ضمن الإجراءات المستعجلة المتخذة لفائدة شباب ولايات الجنوب (3)»، ناوية «تعميم القروض دون فائدة... لإقرار نفس المعاملة بين طرفي البلاد (4)».

إن إلغاء حكومتنا «الرشيدة» الفوائد الربوية عن القروض التي تقرضها لشبابنا في جنوبنا العزيز و «نيتها» في تعميم هذا الإلغاء ليشمل شبابنا في شمالنا هو إقرار عملي واعتراف صريح بأن شعبنا متعلق بالإسلام، متشبث به، راض بشرعه، قابل لأن يحكم بأحكامه العادلة، الحكيمة، دون أن يجد في نفسه حرجا.

ولكن السؤال الضخم ضخامة قصر حكومتنا «الرشيدة» هو: لماذا ترفض حكوماتنا «الرشيدة» حكمنا بحكم الله، وتفرض علينا أحكام الجاهلية الأولى والحالية وما بينهما، بالرغم من زعمها أنها حكومة «ديموقراطية» أي تحكم باسم الشعب- كما هو مدلول كلمة «ديمقراطية»؟

وبمناسبة الحديث عن هذا الداء الخبيث، الذي هو «سرطان الاقتصاد»، أذكر أنني دعوت في شهر رمضان لعام 1990 - وكنت آنذاك في وزارة الشؤون الدينية؛ دعوت الأستاذ الفاضل محمد فرحي (هو الآن أستاذ في جامعة الأغواط) وطلبت منه إعداد حديث ديني عن الربا، وأن يبرهن علميا عن أضراره الكارثية على الأفراد والدول، بشرط أن لا يستشهد بأية آية أو حديث نبوي إلا في نهاية الحديث، وكذلك فعل.

بثّ الحديث في أحد أيام رمضان، وفي صباح اليوم الموالي كنت في مكتب السيد الوزير فإذا مسؤول كبير (م.ا.ش) يهتف إليه، وبعد السلام والتحية.. قال ذلك المسؤول الكبير: إن الحديث الديني الذي بثّ مساء الأمس مزعج، لأن الناس سيعتبرونه دعوة إلى عدم التعامل مع مؤسسات الدولة، وما نحن فيه من وضع اقتصادي حرج.. فردّ عليه السيد الوزير قائلا: إننا لم نفعل أكثر من تطبيق ما ألزمت به الدولة وزارة الشؤون الدينية وهو أن تبيّن للناس ما جاء في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم من أمور العقيدة، والعبادة، والمعاملات، والأخلاق، دون أن تقول لهم افعلوا، أو لا تفعلوا، ومثلها في ذلك كمثل وزارة الصحة التي عليها أن تبين للناس أضرار الخمر دون أن تأمرهم بعدم تعاطيها.

إننا نناشد حكومتنا «الرشيدة» أن تستجيب في أعمالها إلى إرادة الشعب، وأن تحكمه بأحكام دينه، فإن لم ترد وبغت حكم الجاهلية فلتترك له حرية تأسيس بنوك إسلامية (*)، كما ترك الله- وهو القاهر فوق عباده- الاختيار للناس «من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر». وهدانا الله جميعا لدينه الأقوم، وشرعه الأسلم.

هوامش:

1))- المعجم الوسيط. مادة نسأ.

2))- تفسير الإمام ابن كثير..

3))- جريدة الشروق اليومي 21 مارس 2013

*) أعلم أن هناك بنكين في الجزائر يجريان معاملاتهما حسب الشريعة الإسلامية ولكنهما محرّم عليهما وصف نفسيهما بالإسلام.. وإلاّ..

عن "الشروق اليومي" بتاريخ 11 أفريل 2013.

تجديد الفكر الإسلامي بعيدا عن النمط الحداثي الغربي

بقلم: عبد القادر قلاتي

إلى أي حد يمكن أن نجدد تفكيرنا الديني بعيداً عن هيمنة النمط الحداثي الغربي؟ ثم إلى أي حدٍّ يمكن أن ندفع التفكير الديني نحو إبراز منظومة من الإبداع التكويني الذاتي في جدلية التعاصر والتثاقف استناداً إلى شرط النهوض التاريخي والحضاري دون الامتثال لمعايير خارجية في جدلية العلاقة الذاتية مع الآخر (النمط الحداثي الغربي)؟

إن إمكانية ذلك لا تتم إلا عندما تقتنع المحاولات التجديدية التي تتم في حقل التداول الإسلامي بأن لا فائدة مرجوة لوضع الإسلام مقابل الحداثة. وأن التجديد لا يتم إلا وفق معادلة حددتها هذه المحاولات التي اعتبرت أن الإسلام يمثل الماضي (التقليد). بينما الحداثة هي لغة العصر. وهي من يجب أن يحدد علاقتنا به. وما لم تتم عملية تقريب بين حقلي الإسلام والحداثة فإنه لا يمكن أن تبدع منظومة معرفية إسلامية تقوم على توافق بنيوي بين هذين الحقلين.

إن هذه الجدلية الحادة المطابقة لصورة الحركة التجديدية منذ إرهاصاتها الأولى هي التي صاحبت هذه الحركة في كل محاولاتها التجديدية، لقد اندفعت هذه المحاولات في تفسيرها للظواهر والبنى الاجتماعية الأكثر تعقيداً نحو استخدام هذه الثنائية الجامدة حداثة/تقليد. وهذا ما جعلها تسلم بفاعلية التقريب مع الحداثة الغربية. ذلك أن الغرب ونمطه الحداثي هو من أبدع هذه الثنائية (خصوصاً الدراسات الاستشراقية). لتفسير الظواهر الاجتماعية، في العالم غير الحداثي (التقليدي غير الأوروبي). «إن بسط الكلام في مفهوم التقليد يجب أن يحملنا على الاعتراف باستواء التقليد وجهاً من الحياة الاجتماعية، وليس مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، ومن وجهة بالغة الأهمية ليس التقليد والحداثة حالتين متنابذتين في مرتبة الثقافة والاجتماع، وإنما هما حيثيتان مختلفتان للوضعية التاريخية. وبهذا اللحاظ فإن عدداً من الأشياء التي يجري التفكير فيها بوصفها أشياء حداثية إنما ترتبط بوثيق صلة بتقاليد لها جذورها في التاريخ الغربي».

هناك صيغ تقليدية كثيرة تندرج ضمن الحداثة، وقد تشكل إحداها مفهوماً مركزياً لها. كالليبرالية مثلاً، فهي لا تتعين باعتبارها مزيجاً من عناصر تقليدية وأخرى حديثة. إنها تقليدي يرسم وجها مركزيا من وجوه الحداثة الغربية ومع كونها تقليدية فهي أكثر حداثة من الكثير من المفاهيم المندرجة ضمن متن الحداثة. ومع هذا لا يطال النقد الموجه إلى التقليد هذه الصيغ الحديثة في الغرب، بل يكثف جهوده نحو نقد ما يسمى «مجتمعات / ثقافات تقليدية».

في سياق هذا التفكير يمكن للحركة التجديدية أن تخرج من أسر ثنائية تقليد/حداثة، وأن تعاود التفكير في الصيغ الجاهزة التي أبرزتها المنظومة الحديثة الغربية، وهو أن التقليد يعني غياب الحداثة، وأن الحداثة فعل اجتماعي وثقافي يمكّن من التحرُر من هيمنة التقليد. ثم النأي بتفكيرنا الديني عن كل التفسيرات القائلة بالتوافق البنوي بين الفكرين الإسلامي والغربي. وإمكانية التقريب بينهما. وأن التراث (التقليد) لا يمكن أن يفهم من ذاته. وإنما يتطلب دائماً نقيضاً مفهومياً. وهو طبعاً الحداثة.

guellatiabdelkader@gmail.com

ماذا خسرت الجزائر بمنعها جمعية العلماء من النشاط بعد الاستقلال...؟

بقلم الأستاذ :محمد العلمي السائحي

إن الاجابة عن هذا السؤال بشكل دقيق وحاسم،يتطلب معرفة ما قدمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للجزائر شعبا ووطنا، وذلك يقتضي منا أن نقلب صفحات التاريخ ونستنطقها، غير أن مساحة هذا المقال لا تتسع لكل ما سجله التاريخ لها من مواقف مشرفة، وإنجازات عظيمة، كما أن الوقت أصلا لا يسعفنا ولا يسمح لنا بذلك، ولكن كما يقال: ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومن هنا نقول أنه إن لم يكن للجمعية من فضل ، سوى أنها صححت للأمة عقيدتها، وأعادت الحياة إلى لغتها،وعملت على لمِّ شملها، وتوحيد كلمتها، ووثقت أواصرها بمنتماها القومي والحضاري، على الرغم من ذلكم الحصار الشديد الذي فرضه المحتل الفرنسي عليها أيام كان جا ثما على صدرها، وأنها أذكت فيها حب المقاومة والنضال من أجل العقيدة والوطن، فإن ذلك وحده كان كفيلا أن يشفع لها بالاستمرار في نشاطها بعد الاستقلال، غير أن السلطة مع ذلك منعتها، وهذه السلطة التي قررت منعها من مواصلة نشاطها، لم تكن تدرك حينها _ مع الأسف_ أنها بذلك قد تحرم الجزائر من مصل المناعة الذي كان سيقيها من معظم الآفات التي عصفت بها بعد ذلك، والتي لا تزال تعصف بها إلى اليوم، نعم إن منع جمعية العلماء المسلمين من النشاط في ذلك العهد، قد أضعف الجهاز المناعي للجزائر بشكل خطير للغاية، فالجمعية هي التي كانت تسهر على الرعاية الأخلاقية للأمة، تلك الرعاية التي عززت فيها جوانب خيرية كثيرة،أكسبتها قوة عظيمة، تمكنت بفضلها من من مقاومة الاحتلال الفرنسي، حتى تم دحره والتغلب عليه، ولو استمرت تلك الرعاية على ما كانت عليه قبل الاستقلال، لتضاعفت تلك القوة،ولَوَقَفَتْ سدا منيعا في وجه مختلف الآفات الاجتماعية التي تعيشها الجزائر اليوم، إن السلطة التي منعت الجمعية من مواصلة نشاطها بعد الاستقلال، قد وجهت فعلا بقرارها ذلك،طعنة نجلاء للصرح الأخلاقي الذي شادته الجمعية للأمة، فانهارت قيم التكافل الاجتماعي ، وهوت قيمة الأمانة، وذوت قيمة الإخلاص والتفاني، وتلاشت قيمة الإيثار وحب الآخر،وما إلى ذلك من القيم الإيجابية التي كانت تحكم المعاملات وتضبط السلوك الاجتماعي عندنا، وإن التخلف الاقتصادي، والفساد الإداري، والانحراف الاجتماعي الذي تعرفه الجزائر اليوم،إلا نتاج ومحصلة لذلك القرار الخاطئ الذي مُنعِت به الجمعية من مواصلة نشاطها، فالفضائح المالية التي مرغت سمعت الجزائر في الخارج والداخل، ما كانت لتكون، لو بقيت قيمة الأمانة في المجتمع، وتخلفنا الاقتصادي ما كان ليكون، لو استمرت قيمة الإخلاص في لعب دورها وآداء مفعولها، والفساد الإداري ما كان ليحدث، لو استمرت قيمة المسؤولية في تأثيرها فينا، وما كان مجتمعنا ليعرف ظاهرة ضرب الأصول، ولا اختطاف الأطفال، ولسلم شبابنا من آفة المخدرات التي أصبحت تتسرب إلينا بالأطنان، بل لَمَا تفشت فينا البطالة حتى اضطر شبابنا إلى الهجرة إلى الخارج، طلبا للقوت على مراكب الموت، لا لفرا الخزينة وقِلة المال، وإنما لعجز الرجال عن حسن التسيير وإدارة الأعمال، لأن المناصب أسندت للولآت والقرابات، لا للخبراء والكفاءات، وما كان ذلك ليكون لو بقيت الضمائرُ حيَّةً، ولكنها وللأسف كل الأسف، ماتت لأنه لم يبق فينا من الأخلاق أي بقية، وما كان ذلك إلا بسبب قرارات أقل ما يقال فيها أنها جد تعسفية، وقديما حافظ إبراهيم رحمه الله وصدق فيما قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

نظـرات مشـرقة

أين الدولة من الشفافية؟

بقلم: الأستاذة عفاف عنيبة

أن يخبرنا وزير خارجية فرنسا بمرور الطائرات الفرنسية الحربية عبر أجوائنا الوطنية للتوجه نحو المالي في حربهم الصليبية الجديدة، وبضوء أخضر من السلطات الجزائرية، عزز قناعة لديّ أن مشكلة السياسة الخارجية الجزائرية تكمن في الشفافية، والذي أكد لي هذه القناعة الإدارة الجزائرية للهجوم الإجرامي على قاعدة عين أمناس في جنوبنا الشرقي.

مرة أخر تصرفت دولتنا كأن المعني فقط بسيادة الدولة الجزائرية هم أصحاب القرار دون مشاركة من الشعب الجزائري، ولن أذكر النخبة، لأن حسب الدوائر الرسمية في بلدنا لا وجود لنخبة جزائرية!

نعيش منذ عقد ونصف على وقع سياسة خارجية تناقض نفسها، عداء فرنسا موضوع يتداول إعلاميا وبين أفراد الشعب، ولكن فعليا للدولة الجزائرية موقف آخر مغاير تماما في تعاملها مع العدو القديم الجديد، سياسة الصمت والاقتضاب لزمت تعامل الدولة الجزائرية مع ملفات حساسة، ومثل هذا الموقف يعبر عن عدم ثقة صناع القرار في أفراد الشعب الجزائري واحتقارهم العميق له، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نهج النفاق في رسم معالم السياسة الخارجية، أفقدنا الكثير من مصداقية كنا حُزْنا عليها بشق الأنفس إبان فترة الاستدمار وبعد الاستقلال.

وجانب آخر مهم جدا في الحرب الشاملة التي يعرفها الكون، هي الوسيلة الإعلامية التي ظلت جد متخلّفة في الجزائر غير المعترف بها رسميا.

نحن رأينا كيف استطاعت ثلة من المجرمين المقتحمين لموقع غازي بعين أمناس تجنيد وسائل الإعلام العالمية بإمدادهم بالمعلومات الخطيرة والحيوية، وفي المقابل تعامل السلطات الحكومية مع المعلومة الإعلامية، لفه الغموض وتصريحات متناقضة لا نعرف من نسمع ومن نصدق؟

إنني لن أذكر الجانب الأمني الذي أتركه لذوي الاختصاص، لكن ما أعرفه في مجال العلوم السياسية أن الإعلام أصبح من مكونات الأمن القومي، كيف نترك للمجرمين أن يسيّروا الرأي العام وفق خططهم؟ أين هي إستراتيجية الدولة الجزائرية في تأمين المعلومة الصحيحة والتعامل النوعي مع أوضاع مثل هذه؟

نعم أفهم أن الأوضاع الاستثنائية، تحتم علينا معاملة استثنائية، إنما ما نريد تثبيته في هذه المقالة المتواضعة أن الثغرات التي استغلها المجرمون تكشف عن ضعف فظيع ولا يحتمل في تأمين منشآت نفطية! فما هو معرّض للخطر سيادة الدولة على ترابها الوطني، مصالحها العليا، وأرواح البشر، كيف نسمح للظروف أن تنقلب علينا مثل هذا الانقلاب الصادم والمفجع؟ كيف للحدود أن تُخترق بهذه السهولة؟ وكيف يسمح لنفسه مسئول جزائري أن يعترف بدون خجل أن الدولة الجزائرية لا تمتلك تكنولوجيا فيما يخص وسائل الاتصال وتأمين الحدود من الاختراق؟ هل يعقل مثل هذا الكلام، في دولة تفيض خزائنها بالأموال ولها علماء في الداخل والخارج مهمشين بفعل فاعل؟

إلى متى سنحتمل مثل هذه الأوضاع الكارثية؟ فقد أصبحت الدولة الجزائرية وشعبها رهائن في أيدي المجرمين بفعل سياسات أقل ما نَصِفها أنها لا مسئولة.

ouneibafaf@gmail.com

في نبإ نشرته جريدة الخبر يوم 20 مارس الماضي، قال أحد المديرين السابقين في شركة سوناطراك: «إن البحبوحة المالية قد أفقدتنا صوابنا، فأضعنا هذه الشركة».

بقلم: الأستاذ إبراهيم قمور

مال ومدح وغرور

هذا النبأ الإعلامي يثير الرعب والأسف، لماذا، لأن كثرة المال في قطاع -ما- ينبغي أن تؤدي إلى تنمية شاملة وإلى تصرفات حكيمة يتجلى فيها حسن التقدير والتدبير، وتنعكس آثارها في حياة المجتمع من كل الجوانب: الثقافية والأخلاقية وغيرهما..والمشكلة التي تنبعث هنا، هي أن تقع كثرة الأموال بين أيدي بعض السفهاء الذين لا يرون في الدنيا أمامهم سوى القشور، وبريق اللذات واللهو، ولذلك كان من المنطق والترتيب أن تفضي تلك البحبوحة المالية المذكورة إلى غلبة الصواب، عوض الانحدار إلى الفساد، وإلى الازدهار وتكاثر الإنتاج بدل الضياع والخسران، كما تفضي إلى قهر الانحراف، وغلق أبواب النقائص والإسراف، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى خطورة سيطرة السفهاء على الأموال، فقال تعالى في الآية 5 من سورة النساء:{وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ} لماذا؟ لأنهم يتولون التسيير بحماقة، ويقومون بالإنفاق في تبذير مجنون، بينما تعين قلة الأموال على حسن التصرف فيها والانتفاع المنظم منها، وفي مقابل ذلك نرى أن النبأ الذي أخبر عن إضاعة شركة هامة بسبب البحبوحة المالية، يوحي بأن تصرفات أنانية مصلحية عصفت بها وأغنت قوما، وأكسبتهم مكانة مالية رفيعة، أصبحوا معها يمدحون أنفسهم ويثنون على ما بذلوه من جهد العمل والعناء، بل ذهبوا إلى ترديد مقولة (قارون) التي جاءت في الآية 78 من سورة القصص، وهي قوله تعالى: (قَالَ -أي قارون- إِنَّمَا أُوتِيتُهُ - أي المال- عَلَى عِلْمٍ عِندِيَ)، ووصلوا أيضا إلى تلكَ المكانة الرفيعة التي يذكرها القرآن الكريم في الآية 188 من سورة آل عمران وهي قوله: {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ} ومن السفه المنكر الإقدام على ممارسة الفساد والانحراف مع التظاهر بالاستقامة والعفاف والرفعة ورعاية المصلحة العامة..

وهناك لون آخر من المدح يأتي من الخارج، وهو مدح يفيد الهجاء لمن يتأمل جيدا، لماذا؟ لأنه يتضمن الشكر، والمبالغة في الوصف بالحسنات والسجايا الحميدة، من بطولة وانتصارات عابرة خالدة، وصواب مطلق وثورية مشهودة في الرأي والنشاط، ومساعدة الآخرين، وهذا المدح الخارجي في المألوف من المر، لا يخلو من الزيف والمجاملة والاتجاه إلى الفائدة الدائمة والمؤقتة، وأغلب ما يقع من المدح يخضع إلى شيء من التغطية والطمع، وقد يلتقي المدحان: الذاتي المحلي والخارجي الآتي من جهات مختلفة، ويحملان الممدوح سواء أكان فردا أو مجتمعا على الإحساس بالغرور والانتفاخ، وبالنظر إلى واقع الأحداث ومحتوى الظروف المتعاقبة من موقف ضبابي بعيد، الأمر الذي ينتهي به إلى استصغار المشكلات المتداخلة، واحتقار القضايا المؤثرة في توالد الصراعات الفكرية والنظرية. ومن ظواهر الغرور المهلك عندنا إدعاء القيام بالواجبات كاملة بصدق وعزم، ومن تلك الظواهر إتاحة الفرص لسوء التقدير من العاجزين، وانتشار الفوضى، وإضاعة مقاييس التحكم في النتائج بحسب مقدماتها، والاطمئنان إلى التحليل المتصل بالصور الوهمية التي تخدع الفكر السطحي والسلوك الانتفاعي الصرف.

والمؤكد أنه إذا طغت رائحة وقوة المال على كل شيء، فإنها تدفع المجتمع بأسره إلى مودة المدح عن حق أو عن باطل، وتدفعه أيضا إلى معايشة ظاهر الغرور المغلوط، والإحساس بالتفوق بدون وجه حق وصواب، فالموقف الراشد هنا يقتضي التفكير السليم في استعمال المال، وفحص المدح من حيث الصدق والكذب، وتجنب الغرور الذي لا ينتهي بصاحبه إلى الفضائل المطلوبة، وأي مجتمع تصيبه أمراض السفه ومحبة المدح والميل إلى الغرور يصعب عليه أن ينجو من الغرق في الأوحال طال الزمن أو قصر.

في المذكرة العالقة

الذمة الشخصية ..والأموال العامّة !!

أ.د.فوزي اوصديق
oussedik@hotmail.com

كثر في أيامنا هذه، الحديث عن الاختلاسات والسرقات والنهب .. الخ، وغيرها من المصطلحات الشبيهة بها، والبعض لم يضع خطوطاً حمراء لمثل هذه الممارسات، فانتشر الخلط بين الشأن الخاص والشأن العام، والكل أصبح يتصرف على شاكلة لويس الرابع عشر انطلاقاً من مقولته: «أنا الدولة» ..!!

ويمارس مهامه اليوم في السلطة وغداً الله وحده يعلم أين سيكون..!! وهذا ما استدعى النهب قدر الاستطاعة بعيداً كل البعد عن أي وازع ديني أو أخلاقي وبعيدا حتى عن فلسفة الدولة وضوابطها القانونية.

وينسى أو يتناسى الجميع، أن أول دولة أقرّت وفرّقت بين الذمة المالية الخاصة والأموال العامة، ودعت إلى عدم استغلال الوظائف العامة للاكتناز والغنى على حساب الدولة هي دولة رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم-. والقرائن عديدة، ففي حديث البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه- قال: استعمَل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلا من الأزد على صدقات بني سليم يُدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم، وهذا هدية! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا..إلى أن قال: اللهم هل بلغت . فأين نحن من هذه القيم السامية! قيم الشفافية والنزاهة، والمساواة في تقليد الوظائف العامة؟ فالجزائر اليوم في أمسّ الحاجة لمثل هذه المبادئ، في ظل كشف المستور والفضائح. فأين نحن من حديث رسول الله: «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». فدولة القانون تبنى بالأفعال وليس بالأقوال والشعارات والنوايا، تبنى بالتجرّد وليس بالمحاباة، تبنى بالحزم والجزم وليس بالمجاراة. لذلك! يتوجب على الجميع التفرقة بين الذمم الشخصية والأموال العامة.

فالعديد من الدول الغربية، تطبق تعاليم الإسلام دون قصد منها، فالعدل أساس الملك، والدولة الفاجرة العادلة أحسن من الدولة المسلمة الجائرة، فبالعدل والشفافية وبناء الشخصية المعنوية للدولة تبنى الأمم وتُقام وتخلد.

المربية الفاضلة الدكتورة مني حداد يكن في ذمة الله

انتقلت إلى رحمة الله تعالى ورضوان المربية الفاضلة الدكتورة منى حداد يكن رئيسة جامعة الجنان في مدينة طرابلس الفيحاء -مدينة العلم والعلماء- وزوجة الداعية الإسلامي الكبير الشيخ فتحي يكن-رحمه الله تعالى- مؤسس الحركة الإسلامية المعاصرة في لبنان. وتعتبر الدكتورة مني حداد يكن من أبرز قادة الحركة الإسلامية في لبنان، وتحظي باحترام وتقدير جميع ألوان الطيف السياسي في لبنان لمكانتها المتميزة وعطائها المتدفق في خدمة المجتمع اللبناني، وخصوصا في مجال التربية والتعليم .حيث كانت إلى أن توفاها الله سبحانه وتعالى، ترأس مؤسسة الجنان التعليمية.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم جمعية العلماء المسلمين ممثلة في رئيسها الشيخ الدكتور عبد الرزاق قسوم ومكتبها الوطني، بأحر التعازي إلى أسرة الدكتورة الفاضلة، والى أبنائها وجميع العاملين معها في مؤسسة الجنان العامرة، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يتغمدها برحمته الواسعة وأن يخلف المسلمين فيها خيرا، وأن يجمعنا معها ومع سائر العاملين للإسلام في أعلى عليين مع سيد المرسلين.

رحم الله الدكتورة مني حداد يكن رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

هجرة الأدمغة الجزائرية سعيا لعلم أكثر ومال أوفر أم هروبا من فقر جامعاتنا المذقع وغثائية مسيريها المفزع !!

الدكتــورذهبــي، العالم النووي الجزائري من طراز جائزة نوبل فــي خدمــة الجاليــة المسلمة فــي زيــوريــخ السويسريـــة.

حاوره / محمد مصطفى حابس

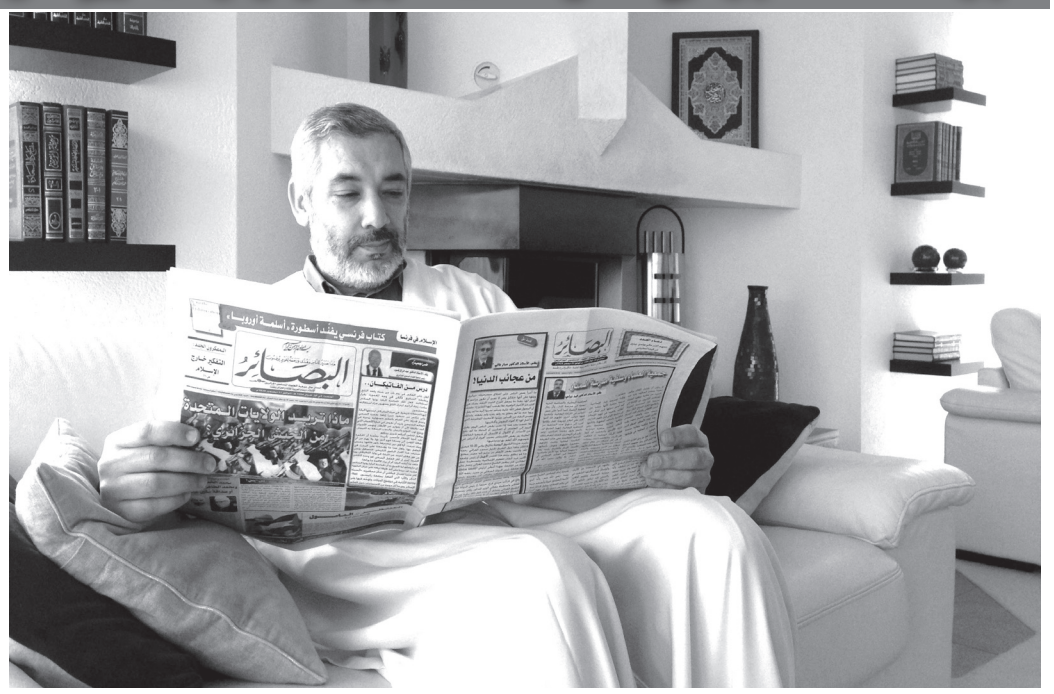

زيوريخ هي إحدى أهم مدن سويسرا وأكبرها على الإطلاق. تقع في وسط شمال البلاد على مقربة من الحدود الألمانية على بحيرة زيورخ . تشتهر المدينة بشركات الخدمات المصرفية والتي تصنّف الأفضل في العالم، يوجد فيها أكبر سوق للذهب وترتيب بورصتها الرابعة عالميا بعد نيويورك ولندن وطوكيو، والمعاش فيها يعد الأغلى بين دول العالم، لذلك نالت وسام العاصمة الاقتصادية السويسرية عن جدارة واستحقاق. تعد زيوريخ أفضل مدن العالم أمنا ونظافة وهدوءا والشيء الجميل فيهاهو تنوع ثقافتها وعمرانها الأنيق الذي يجمع بين الحاضر والماضي والمستقبل، بها أكبر جامعات العالم، التي أفرزت ما يربو عن عشر جوائز نوبل لوحدها ما بين 1975 إلى اليوم، والتي يدرس بها جزائريون وعرب. الجالية المسلمة في سويسرا أكثر عددا في كبرى المدن، وتأتي زيوريخ على رأسها جميعا، بحيث يعيش 76 في المائة منهم في المدن الناطقة بالألمانية كالعاصمة بارن وسانت قالن ومدينة بازل على الحدود الألمانية الفرنسية. في هذه المدينة أقيمت الأسبوع المنصرم، ندوة بعنوان «التربية في الغرب وضرورة العمل بفقه الأولويات»، احتضنتها مؤسسة عريقة هي «مؤسسة الشيخ زايد الإسلامية بزيوريخ»، وحضر الندوة كل من الشيخ صالح بوزينة من السويد، وهو إمام أسبق لمسجد الأرقم بحي «شوفالي» بالجزائر العاصمة، والشيخ عمار طليبة إمام مؤسسة الشيخ زايد، والدكتور رحايلية عبد الحسيب، إمام وأستاذ بجامعة عنابة، وكاتب هذه السطور، كما نشط الندوة يومي السبت والأحد الشيخ سعد شعبان من الصومال. وعلى هامش الندوة كان لنا الحوار التالي مع الدكتور عبد الوهاب ذهبي، الأستاذ الجامعي والخبير الدولي في الفيزياء النووية والرئيس الحالي لمؤسسة الشيخ زايد الإسلامية.

محمد مصطفى حابس: مرحبا بك دكتور عبد الوهاب ذهبي، بداية لو تتقدم للقارئ الجزائري خصوصا والمسلمين عموما، نبذة عن شخصكم الكريم؟ وما هي الأقدار التي جعلتك تحط رحالك في سويسرا، بعد الدراسة في أكبر الجامعات العالمية، علما أن الجزائر في حاجة إلى كفاءات رجال أمثالكم؟

الدكتورذهبي: بسم الله والحمد لله والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

أخوكم عبد الوهاب ذهبي، جزائري الأصل، تنحدر عائلتنا من منطقة «الرباوات» جنوب مدينة البيض، ولدت قبيل الاستقلال في مدينة مكناس بالمغرب الشقيق، حيث هاجرت عائلتي قبل سنوات من اندلاع الثورة، تابعت دراساتي الابتدائية والثانوية بالجزائر العاصمة بثانوية ابن عباس بالأبيار والتي كانت تسمى «سانت جوزف ويديرها «الآباء البيض». بعد البكالوريا، درست الرياضيات العليا في باريس ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة أريزونا حيث نلت شهادة الهندسة في مجال الطاقة سنة 1985، حصلت بعد ذلك وبعون الله على منحة مولة من «جنرل إلكترك» الأمر الذي سمح لي بمتابعة دراساتي العليا بمعهد التكنولوجيا بالماسشيوست ببوسطن، للحصول على الماستر سنة 1988، والدكتوراه عام 1991، في مجال الطاقة مع تخصص في المحطات النووية، قضيت بعدها سنة أخرى بـجامعة « أم أي تي» العالمية المعروفة كباحث ومدرس.

ولما كانت نيتي أن أقترب نوعا من بلدي الجزائر، بعد أن قضيت 10 سنوات في أمريكا، قبلت عرض عمل بمعهد بول شيرار «بي أس أي»، بسويسرا، بحيث يعد هذا المعهد من حيث الحجم أكبر معهد بحوث في سويسرا، موازاة مع وظيفتي بصفتي مديرا للبحوث، في «بي أس أي»، أدرس طلبة الماستر في المدرسة المتعددة التقنيات بزوريخ» أي بي أف زاد» ، وأشرف على رسائل شهادتي الماستر والدكتوراه، طبعا هذه الجامعة أنجبت عددا لا يستهان به من الحائزين على جوائز نوبل وغيرها.

متزوج بجزائرية وأب لأربعة أطفال، هذه لمحة وجيزة عن مساري والذي لا يختلف كثيرا عن مسار الكثير من أشقائي الجزائريين من نفس جيلي الذين غادروا الجزائر بحثا عن العلم، ومساري هذا، يعد رحلة عمر حول العالم دامت 30 سنة، والحمد لله.

معضلة «فرار أو نزيف الأدمغة» كما تسمى ليست خاصة بالجزائر، ولكن تفاقم هذه الظاهرة عند الجامعيين الجزائريين هو الذي يجعل الأمر مذهلا ومحيرا للعقول.

◆ أنبأتنا الصحافة الجزائرية أن هناك نزيفا حقيقيا للأدمغة الجزائرية، عدد كبير من العقول المهاجرة للخارج فضلت البقاء في الخارج، في الوقت الذي تفتقر فيه جامعات الجزائر لأمثالكم، هل لك أن تشرح لنا بعض أسباب ذلك وتعطينا بعض الإحصائيات حسب التخصصات إن أمكن؟ ولماذا أنت لا تعود للعمل في جامعات بلدك الجزائر؟

◆◆لمّا أحاول أن استذكر مئات الجامعيين الجزائريين الذين التقيت بهم هنا في أوروبا أو في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم أريد أن أقيم إحصائيات شخصية حول العدد منهم الذين رجعوا إلى الجزائر، لا يكاد هذا العدد يتجاوز عدد أصابع اليدين، معضلة «فرار أو نزيف الأدمغة « كما تسمى ليست خاصة بالجزائر، ولكن تفاقم هذه الظاهرة عند الجامعيين الجزائريين هو الذي يجعل الأمر مذهلا ومحيرا للعقول. إذا كانت الظروف المادية والمعيشية المميزة هي سبب اجذاب الجامعيين للمهجر بالنسبة للبعض، فإنها بالنسبة لي ليست السبب الرئيسي، لذلك يحق لك أن تتساءل معي، لماذا عادت أعداد كبيرة من آلاف الطلبة الصينيين والكوريين والماليزيين الذين درسوا معي في الولايات المتحدة في الثمانينات إلى بلدانهم؟ لماذا ترك هؤلاء الجامعيون ذووا المستوى التعليمي الراقي أجورا خيالية قد تتعدى عشرات أضعاف الأجور في بلدانهم، ليعودوا ويدرّسوا في جامعات محلية في بلدانهم الأصلية؟ السبب الرئيسي في رأيي، هو الحاجة القصوى التي يشعر بها كل عالم وكل باحث جامعي بأنه ضروري وأن عمله مهم للآخرين، حيثما كان. هذا العالم أو الباحث الأكاديمي قدم ما يقارب العشرية من أحلى سنوات عمره لإتمام دراسته ولذلك فانه من حقه بعد هذا الجهد الضخم أن يمارس عمله بصفة كاملة وحرة ليشعر بالرضى لأنه يساهم في تقدم مجتمعه وبلده، الصين، مثلا، والتي ليست ديمقراطية حقيقية وماليزيا التي تتمتع بديمقراطية أكبر نوعا ما، بلدان أنجزا خلال الثلاثين سنة الماضية نهضة وطنية حقيقية أسهمت بصفة كبيرة للغاية كل الطاقات النخبوية الجامعية في اتخاذ القرار العام. الصين مثلا تخصص 1.5 في المائة من إنتاجها المحلّي الخام للبحث والتنمية والنتائج الحتمية لهذه الإدارة السياسية أتت أكلها مباشرة، ففي غضون عشر سنوات تضاعف عدد صادرات الصين أربع مرات!!

أنظر الوضع عندنا، فهو غير ذلك؟ النظام السياسي في بلادنا مشغول بهاجس بقائه، لا يحتاج إلى جامعة ولا إلى جامعيين بما أنه ليس لديه مشاريع طموحة تبني جزائر الغد وأجيال المستقبل.

عموما القائمون على أمور البلد أنفسهم ذووا مستويات تعليمية محدودة جدا، جعل محاولاتهم لتطوير البلاد فاشلة، حتى وإن حسنت النيات أحيانا، كونهم لم تطأ أرجلهم يوما أية جامعة، كما أنهم لم يطالعوا أو يساهموا في أي مشروع علمي، شعبنا في الجزائر يعلم أن قاعدة النظام في تسيير البلد هي الاستيراد ثم الاستيراد، إذا احتاجت البلاد لأي شيء يستورد والفضل يعود في ذلك لتركة البترول اللعينة، فكم سيكون الاستيقاظ موجعا بعد انقضاء سنوات «جغمة» البترول!! ستدفع الأجيال القادمة الثمن غاليا، ثمن هذا السبات من ثلاثين سنة والذي استفحل أمره خلال العشرين سنة الأخيرة.

أهم قادة بلدنا، تفوق أعمارهم الـ 75 سنة، وهو ما يزيد الطين بلة إذا ما قارنا ذلك بمتوسط عمر الشعب الجزائري الفتي..حقيقة نتساءل كيف نأمل أن نتقدم في سنوات الانترنت والثورة الرقمية والنانونكنولوجيا، مع قادة وصناع قرار في العقد الثامن من أعمارهم، لا يفقهون كيف يسير العالم من حولهم! ولما يدعو النظام لإقامة فعاليات تخص النخبة الجامعية في بلاد المهجر، فإن ذلك لا يعدو أن يكون فرجة تلفزية لا غير، وتنفض من يومها، ولن يتبع ذلك أبدا بمشاريع واقعية مستقبلا، وبالتالي ما تلك «الفعاليات» في شاكلتها إلا «زردة « يدعى لها الباحثون الجامعيون، للتسلية و»شم ريحة لبلاد» لا غير!!

الصين تخصص 1.5 في المائة من إنتاجها المحلّي الخام للبحث والتنمية والنتائج الحتمية في عشر سنوات تضاعف عدد صادرات الصين أربع مرات !!

وللإجابة عن سؤالكم فيما يخصني شخصيا، فإني أقول إنه ليس لي مكان في بلدي، شأني في ذلك شأن الكثير من أمثالي من الجزائريين الجامعيين في المهجر، ذلك لأن بعض قادة البلاد قرروا إقصاء وتهميش عقول وسواعد وطنية مخلصة، سواء في الداخل أو الخارج، قرروا إقصاء كل الكفاءات النّزيهة والتي لا «تذوب» في قالب النظام، واليكم قصة صغيرة تلخّص الوضع، لقد استضافني قبل سنوات مدير مركز كبير للبحوث في الجزائر لأحاضر وأساهم في كيفية إقامة تعاون مع مراكز بحوث في الخارج لي صلة ومعرفة بها، عند وصولي إلى الجزائر، يستقبلني مبعوث في غاية اللّباقة ليقول لي أنّ اللّقاء قد تمّ إلغاؤه لأسباب أمنية تخصني!! لماذا؟ أكيد أنه وسوس إليه أناس لا ينامون الليل «لحماية الجزائر» من أعدائها، مع أنّ اسمي لم يصدر في أيّة من قضايا فضائح السنوات الأخيرة، لا في قضية «خليفة» ولا في قضية «ال ب غ ص» ولا قضية «الطريق السريع شرق - غرب» ولا في قضية «سوناطراك الأولى» ولا «سوناطراك الثانية» ولا «سوناطراك الثالثة» التي حاك خيوطها في اللحظة التي أكلّمكم فيها..وكم في بالجزائر من مضحكات، لكنّه ضحك كالبكاء!!

◆هل هذا الأمر هو الذي زهدك في العمل في بلدك، وما الذي دفعك للعمل التطوعي الإسلامي وأنت تخصصك فيزياء نووية لتصبح رئيسا لمؤسسة الشيخ زايد الإسلامية بزيوريخ؟

◆◆يجب أن نوضّح أوّلا أن المسجد في الغرب بدأ يسترجع وظيفته الأولى في الوسط الجامعي، بمعنى أنّه مكان للحياة الإسلامية بكامل أوجهها، تقام فيها الصّلاة، يتحاور فيه المسلمون مع غير المسلمين من كل الأجناس، تقام فيه الندوات والمحاضرات، ويحتفل فيه بمواسم الزّواج والولادات، كما أنّه يجمع المسلمين لإفطارهم في شهر رمضان الكريم.. وهذا ما نراه كذلك هنا في زيورخ حيث أنّ وجود الجامعات والجامعيين يعطي للمسجد دوره الروحي، بالإضافة إلى دوره التربوي والعلمي، ونظرا لأقدميتي في المنطقة ولأسباب أخرى تتعداني، وجدت نفسي على رأس المؤسسة الإسلامية في زيورخ.

للتذكير فقط، إن التزاماتي في المؤسسة متواضعة نظرا لوجود طاقات متعددة وواعدة تشارك في إدارة شؤون المسجد.

❍❍❍

قاعدة النظام في تسيير البلد هي الاستيراد ثم الاستيراد، والفضل يعود في ذلك لتركة البترول اللعينة، فكم سيكون الاستيقاظ موجعا بعد انقضاء سنوات «جغمة» البترول!!

○○○

◆ دكتور، لو تكرمت تقدم للقارئ العربي بطاقة تعريف أو بسطة تاريخية مستفيضة لمؤسسة الشيخ زايد الإسلامية بزيوريخ، التي تعد من أقدم وأعرق المراكز الإسلامية في أوروبا؟

◆◆ باختصار تاريخ مؤسستنا طويل. فقد أسست مجموعة من المسلمين القاطنين في سويسرا الألمانية هذه المؤسسة منذ سنة 1975. جمعت هذه المؤسسة جنسيات مختلفة «عرب، أتراك، بوسنيون، الخ...» وكان من أهدافها الأولى الحصول على مبنى لإقامة مسجد بزيورخ وكذلك الحصول على قطعة أرض لإقامة مقبرة للمسلمين. في سنة 1982، ونظرا لغلاء المشروع وقلة ذات اليد، اتّجه الأعضاء المؤسسون بتقديم مشروعهم إلى الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات العربية رحمه الله، الذي قرّر، جزاه الله خيرا، إهداء فيلاّ كبيرة وسط زيورخ وقفا للمسلمين يتخذونها مسجدا. يتّسع هذا البيت الكبير إلى 500 مصليّا ومع ذلك فانّه يضيق، مع مر السنين، بالجالية المسلمة المتكاثرة باستمرار، فنحن نعدّ اليوم، ما يقارب الـ 10000 مسلم في زيورخ وضواحيها، ولذلك فإننا نضطّر إلى حجز قاعات إضافية لصلوات الجمعة والعيدين، حيث يبلغ عدد المصلّين في الأعياد ما يقارب الـ 3000 مصل. ومن هنا فإنّ هدفنا الرئيسي هو بناء مسجد يتّسع للجالية المسلمة المتكاثرة. أما بالنسبة للمقبرة فقد حصّلنا بعد جهود مضنية وسنوات عديدة على قطعة أرض مساحتها 8000 متر مربّع. وبالتالي فالأهداف الأولية للمؤسسة قد تم تحقيقها بحمد الله. وهدفنا المركزي حاليا هو تهيئة شباب الجيل المسلم الناشئ لتحمّل تبعات هويته المسلمة بدون عقد أو تنكر، وإعداده بصفته مواطنا مسلما للمشاركة في سير حياة مدينتنا والوطن عموما.

◆أكيد نشاطاتكم في المركز متعددة، فما هي مشاريعكم المستقبلية؟

◆◆مركزنا الإسلامي مكان لأداء الصلوات الخمس ومكان اجتماعي وتربوي، يلتقي فيه عدد كبير من الجنسيات، والجالية المغاربية هي الجالية الأكبر عددا متبوعة بالجالية الصومالية، كما أننا نجد كذلك مصريين ولبنانيين وباكستانيين وبنغال، لكلّ جالية مدرستها الخاصّة بالأطفال الصّغار خلال يومي السبت والأحد، كما يتلقّى الكبار غالبية الدروس الدينية التربوية باللّغة العربية يقدمها إمام المسجد أو علماء يستضافون بالمركز بصفة دورية.

كما يشارك أيضا، شباب الجامعات والثّانويات في تقديم دروس تدعيمية للأطفال من مستويات مختلفة.

نحاول في المركز من خلال هذه النشاطات أن نلقّن الشباب مفهوم الأمة ورسالة المسلم في الغرب. كما ننظّم «أيّام أبواب مفتوحة» لتعريف غير المسلمين بالإسلام وإزاحة المفاهيم الخاطئة المنسوبة للإسلام، كما نشارك بصفة فعّالة في الحوار ما بين الأديان ونشارك في مشاريع الاندماج المنظّمة من طرف سلطات مدينة زيورخ.

◆يفخر السويسريون بأن لديهم الأفضل والأجود والأقوى في العديد من المجالات، ويقول البعض أن سويسرا هي بلد الأرقام القياسية وأن موسوعة قينيس للأرقام القياسية والسبق لابد وأن يكون نصفها سويسري، فهل يمكن أن يسري هذا الأمر أيضا على الجالية الإسلامية في هذه الديار التي فتح بها أول المراكز إسلامية في أوروبا تقريبا، عن طريق كوكبة من العلماء والدعاة الوافدين على سويسرا، وعلى رأسهم المرحوم الدكتور سعيد رمضان والشيخ محمود بوزوزو؟ على ضوء ذلك ما علاقتكم بالحكومة السويسرية قبل وبعد «زوبعة منع المآذن»؟

◆◆هذا الكلام صحيح إلى حد ما، على عكس الجاليات المسلمة الأخرى في أوروبا فإنّ الجالية المسلمة في سويسرا تكوّنت حول شخصيات ذات باع وإشعاع علمي لا ينكره أحد، أمثال الشيخ محمود بوزوزو من علماء الجزائر والأستاذ سعيد رمضان من إخوان مصر، رحمهما الله، اللّذين قدما إلى سويسرا في منتصف الخمسينات، ولذلك فإنّ نسبة الباحثين والجامعيين في الجالية هي بالفعل من أعلى النّسب في العالم. ومن هنا فإنّ الحوار بين المسلمين والسويسريين سهل ومميّز والتفاعل مستمرّ. وهذا ما يجعل الكثيرين من السويسريين يعتنقون الإسلام ويصبحون سفراء له.

أما فيما يخصّ سؤالكم عن علاقتنا بالحكومة السويسرية سأتطرّق إلى نقطتين اثنتين أوّلا، لم تكن الحكومة السويسرية أصلا وراء مبادرة منع المآذن، بل على العكس من ذلك، تمّت هذه الأخيرة رغم ممانعة الحكومة، المبادرة تعود لحزب متطرّف اغتنم موجة الإسلاموفوبيا التي انهالت على أوروبا منذ عشر سنوات وفرض إقتراعا شعبيا إنتهى بالنتيجة المعروفة، ثانيا، بصفتنا منظّمة «محليّة » ننتمي إلى رابطة المنظّمات الإسلامية على مستوى سويسرا، أجرت هذه الرابطة الوطنية حوارات ومحادثات عديدة مع الحكومة للوصول إلى أجدى الطرق والوسائل التي تسمح لمسلمي سويسرا بالإندماج والإنخراط في الحياة السياسية والإجتماعية والجمعوية.

كانت مبادرة منع المآذن بمثابة هزّة كهربائية أصابت الجميع، المسلمين والحكومة السويسرية أيضا التي بادرت إلى سلسة من الإجراءات لتسهيل إندماج المسلمين في المجتمع، من جهتنا قررنا أن نلتزم في جاليتنا بروح من النّقد الذّاتي لنتبيّن نقائصنا، لنصحّحها ونمضي إلى الأمام لنرسي في إطار القانون حقوقنا في المواطنة التّامة والكاملة. وفي الأخير كانت مبادرة منع المآذن إيجابية على الجالية المسلمة أكثر منها سلبية، (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)..

◆ما هي التحديات التي تواجهكم في تربية الأجيال القادمة في مركزكم؟

◆◆الجالية المسلمة في سويسرا شبيهة بالجالية المسلمة في أمريكا، بفعل التنوّع الكبير للجنسيات المكوّنة لها؛ بصفة عامّة، توجد هناك أربعة أرباع في هذه الجالية، الرّبع التركي، الرّبع الألباني-البوسني، الرّبع العربي والرّبع الصومالي. في هذا التنوّع قوة للمستقبل، بالفعل أبناؤنا البالغون 20 سنة اليوم مختلفون عنّا كثيرا عندما كنّا في نفس سنهم، ليست لديهم عقدة، كونهم ولدوا في بلد آخر، فهم مولودون هنا، يحملون جواز سفر هذا البلد، أكملوا دراستهم الابتدائية والثانوية فيه، يتكلّمون اللّغات المحلية بدون لكنة، فهم أوروبيون ثقافيا، وهم بذلك لا يجرّون وراءهم رواسب «العيوب» التي حملناها نحن، كل من بلده الأصلي، فلا فرق هنا بين مسلم من أصل بوسني وآخر من أصل تونسي إلاّ ربّما في الاسم.

هذا التوحيد الثّقافي واللّغوي عامل إيجابي للمستقبل، إذا ما اعتنينا بإعطاء أبنائنا مبادئ التربية الإسلامية، وهذا ما نحمل أنفسنا على القيام به في مساجدنا، يتعلّم الشباب مبادئ اللّغة العربية، وقواعد العلوم والآداب الإسلامية ولكن بلغتهم الأم والتي هي هنا اللّغة الألمانية، ننظّم في المساجد دوريا مخيّمات لتحسين وإتقان المفاهيم المدروسة ولتعزيز مفهوم الأمّة في نفوس الشباب، ننظم كذلك دورات لمناسك الحج والعمرة للارتقاء بمستوياتهم الروحية، فمثلا رتبنا للشهر القادم عمرة لما يزيد عن 130 شخصا، هدفنا في الأخير هو تهيئة هؤلاء الشباب لمواصلة المسار، فنحن نأمل منهم أن يتولّوا إدارة هذه المساجد أو المراكز بعد عشر سنوات، الشباب هم شغلنا الشّاغل، في الستينات والسبعينات انشغل المهاجرون في الغرب ببناء بيوت لهم في بلدانهم الأصلية وعادوا ليسكنوها بعد تقاعدهم، جيلنا نادرا ما يفكّر في الرّجوع إلى البلد يوما ما، ولكنّه لم يبن بيوتا هناك، أمّا هذا الجيل، فهو لا يفكّر إطلاقا في الرجوع للبلد يوما ما، لأنّ بلده هي سويسرا، أملنا بإذن الله، أن يصبح أبناؤنا مواطنين كغيرهم مع خاصيتهم الإسلامية كما هم المواطنون الآخرون بخاصيتهم الكاثوليكية، البروتستانتية أو اليهودية.

السويسريون لديهم الأفضل والأجود والأقوى في العديد من المجالات، وسويسرا هي بلد الأرقام القياسية على صغر حجمها الجغرافي، وأن موسوعة قينيس للأرقام القياسية تزخر بالعملاق السويسري.

◆ما هي علاقاتكم بالدول الإسلامية عموما ومؤسساتها الدينية كالأزهر في مصر ورابطة العالم الإسلامي في السعودية وجمعية العلماء أو وزارة الأوقاف الجزائرية -بحكم أنك من أصول جزائرية- وجلبتم إماما جزائريا؟

◆◆علاقتنا جيّدة مع جميع المنظّمات الإسلامية العالمية التي تتعامل معنا ما دامت في أحضان ما يصطلح عليه بـ «الوسطية»، بمعنى الإسلام في عمومه وتسامحه. وبالتالي، يزورنا علماء الأزهر القادمون في دورات إلى أوروبا خاصة في شهر رمضان الكريم، توفّر لنا الرّابطة أهم الكتب الإسلامية مترجمة إلى لغات البلد، أمّا بالنسبة لجمعية العلماء فهي في قلوبنا لأنّه لم تتوفّر لدينا بعد ظروف التعامل معها، وليست لنا كذلك أيّة علاقة مع وزارة الأوقاف الجزائرية.

يزورنا علماء الأزهر وتوفّر لنا الرّابطة أهم الكتب الإسلامية مترجمة إلى لغات البلد، أمّا بالنسبة لجمعية العلماء الجزائرية فهي في قلوبنا لأنّه لم تتوفر لدينا بعد ظروف التعامل معها.

الجالية المتردّدة على مسجدنا متنوّعة الجنسيات والثّقافات وهذا أمر جيّد في حدّ ذاته، بصفتنا أقلية مسلمة هنا، فإنّ قوّتنا تكمن في كوننا نمثّل جالية وأمة وكلّ ما يساهم في شرذمتنا إلى جنسيات أو مجموعات لغوية فإنّه يساهم في إضعافنا، كون إمام المركز الحالي جزائريا أمر تصادفي، سبقه إلى هذا المنصب إمام مصري وقبله إمام مغربي..

◆وما علاقتكم بمؤسسة الشيخ زايد، ودولة الأمارات العربية المتحدة التي تتبعون لها والمركز ملك لها؟

◆◆مؤسستنا كيان مستقل يتبع القانون السويسري، ونحن بذلك مستقلّون عن مؤسسة الشيخ زايد بالإمارات، بناية المسجد ملك لها بالفعل وهي تسمح لنا باستعمال المبنى بعقد وقفي بيننا، ينص بأنّ المبنى يجب أن يستعمل كمركز إسلامي من طرف كل المسلمين مع اختلاف جنسياتهم وذلك في إطار القانون السويسري، ونحن ملتزمون بهذا العقد منذ 31 سنة وعلاقتنا جيّدة مع مؤسسة الشيخ زايد التي لا تتدخّل بأيّة طريقة في نشاطاتنا وهي مشكورة.

◆يقال التربية في الصغر كالنقش على الحجر، من هو الشخص الذي كان له الأثر الأكبر في تربيتك، عدا والديك؟

◆◆قد تتخيّل أنّ هذا الشخص أستاذ جامعي لامع، ذو المعرفة الواسعة والكلام البليغ والبيداغوجية الممتازة، بالفعل فإنّني درست كثيرا على أيدي أمثال هؤلاء من الأساتذة وأنا محظوظ لكوني رافقتهم في مساري، ولكن الإنسان الذي كان له الأثر الأكبر في نفسي وتعليمي هو «الشيخ سليمان» من دون شك، الذي كان مدرّسي في السنة الثانية ابتدائي، بمدرسة فينيار، قريبا من حي محي الدين، وهو حي شعبي بالعاصمة، كان الشيخ سليمان في الأربعين من عمره كما كان يوحي به شعره الرّمادي، وكان طويل القامة، رشيقا، مستقيم الهيئة، كان على الأغلب من خريجي «جمعية العلماء»، لأنّه كان يذكرنا بالصلاة كثيرا، ويتطرق كثيرا في الحديث عن كيفية أدائها عند المالكية واختلافها عند الحنفية، مع أنّنا لم نكن نستوعب كلامه جيّدا آنذاك، ولا نعرف المذاهب الإسلامية، كنّا نعتبره إنسانا خارقا لأنّه تميّز عن غيره من المدرّسين بأنّه كان يخرج من روتين الدروس المبرمجة ويتحدث معنا عن أمور كانت بعيدة عن أذهاننا الصغيرة. ذات يوم دخل عصفور صغير قاعة الفصل خطأ وظل يحلّق ثمّ خرج من بين قضبان النافذة، فعلّق الشيخ سليمان قائلا أرأيتم هذا العصفور الصغير، رأى سبورة سوداء كبيرة كتبت عليها حروف بيضاء جميلة فأراد أن ينضمّ إليكم ويتعلّم مثلكم العربية، فالحيوانات أيضا تحبّ أن تتعلّم.

في يوم آخر، يوقف الشيخ سليمان درسه فجأة دون سبب واضح، ويقول وتظنّون أن شاب الـ 18 أو 20 سنة رجل حقيقي!! الرجل الحقيقي هو من بلغ الـ 40 سنة على الأقل، كان على الأغلب يقصد بكلامه الحديث عن سن الرشد، سن الرسالة (حتّى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة) الآية. ولكم أن تتصوّروا صدمتي وأنا من كان يضنّ أنّ شاب الـ 18 سنة، شاب الخدمة العسكرية كان رجلا متكاملا، في يوم آخر وبدون علاقة مع درسه، يغيّر موضوع الحديث ويقول لنا، أتظنّون أن بومدين رئيس لأنّه أقوى من الجميع، اعلموا إذن، أنّه لو انفرد به شخصان قويّا البنية لتمكّن من تلقينه موعظة محترمة «يعطوه طريحة»، لكم أن تتخيّلوا الصّدمة في ذهني وأذهان أصدقائي الصّغار أسطورة انهارت فجأة أمام أعيننا!! فعلا، كنّا نحب هذا الشيخ لدرجة أنّنا كنا نرافقه عند خروجه من المدرسة ونشيعه في طريقه إلى بيته، البعض أمامه والبعض وراءه والآخرون على جانبيه، و ان الشيخ يواصل درسه خليطا ممزوجا بمواعظ وقصص ودروس مدرسة الحياة، كان يقف ليحيّي أولياء التلاميذ، يتحدّث معهم في أمور شتّى وكان أحيانا يذهب إلى بيت أحد تلامذته ليتحاور مع أوليائه إذا استدعى الأمر ذلك. ألخّص الدروس التي تعلّمتها من هذا المدرّس العظيم في أمرين اثنين، التفاني ونكران الذّات في أداء المهمّة ومواصلة التساؤل عن كل المفاهيم والأفكار المأخوذة مهما كانت، رحمه الله رحمة واسعة.

◆كلمة ختامية؟

◆◆نحن لا نختار الزمن الذي نعيش فيه ولا الظروف المحيطة بنا ولكن بإمكاننا أن نعيش مسلمين في كل زمان وفي كل مكان، شاءت قدرة الله سبحانه وتعالى أن تعيش هذه الجالية المسلمة وسط أوروبا في القرن الواحد والعشرون، يتمنّى البعض منّا لو أنّه يعيش في بلده الأصلي ليشارك في إخراجه من تخلّفه، هكذا، كان سيّدنا محمد - صلى الله عليه وسلّم- مسلما متكاملا يوم فتح مكّة يوم كان محاصرا في الغار، سيّدنا يونس عليه السلام كان مسلما متكاملا وهو في بطن الحوت.

نحن أنصار هؤلاء الأنبياء وعلينا أن نكون مسلمين أينما كنّا وحيثما عشنا، مقتدين بكلمة إمامنا العلامة «ابن باديس» رحمه الله البليغة والوجيزة للطالب الجزائري الذي قصده في نصحه قبل أن يهاجر للدراسة في أوروبا، فأرشده قائلا: «كن مسلما حيث ما حللت»، وبصفتنا مسلمين علينا أن نسعى لنصرة الإسلام والمسلمين والتمكين لهما، قال تعالى:{ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}.

{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}.

وانتصار الإسلام عموما، سيتم وفق سنن الله في خلقه سبحانه وتعالى:{ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}.

من بين هذه السنن، اثنتان تتعلّقان مباشرة بتغيير وضع المجموعات والأمم:{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.

{وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}.

لا خلاص لنا للخروج من التخلّف والتأخّر والفقر والفساد بدون تجديد حقيقي للأمّة، ولن ينجح هذا التجديد إلاّ إذا سايرسنن الله الثّابتة.

السؤال الحقيقي، الوحيد المجدي للفرد، للمجموعة وللأمة هو التّالي

هل سينتصر الإسلام بنا، أو بدوننا، أو على الرغم منّا؟

جزاكم الله خيرا.

حاوره في زيوريخ: محمد مصطفى حابس

إمام الأمة وذكرى يوم العلم..

بقلم:
الأستاذعبد الباقي صلاي *

أثارني وحز في نفسي كثيرا ما قاله الشيخ «محمد الغزالي» رحمه الله ذات يوم، عن زعيم الإصلاح في الجزائر الشيخ «عبد الحميد بن باديس» و بكثير من الحسرة لا سيما في الجانب التعتيمي الذي مورس في حق هذه الشخصية العظيمة بقصد أو بغير قصد من قبل بني جلدته ومن ينتمون إلى الدائرة العربية والإسلامية،

فلقد قارن «الشيخ محمد الغزالي» بين ما قدمه «نابليون بونابرت» لفرنسا وبين ما قدمه الشيخ «عبد الحميد بن باديس» للجزائر والأمة الإسلامية فوجد أن الرجلين على قدم المساواة من حيث الإخلاص للوطن كل حسب موقعه،لكن «نابليون بونابرت» كتب فيه آلاف الكتب، بينما لم يكتب في الشيخ «عبد الحميد بن باديس» صاحب التراث الفكري، وصاحب الفكر التنويري إلا النزر اليسير والمقالات القليلة التي لا تغني في شيئ ولا تستطيع أن تعرف بشكل جلي بما قدمه عظيم الإصلاح في القرن العشرين.

كلمات الشيخ «محمد الغزالي» رحمه الله جعلتني أفكر في كيف يتسنى لي الأمر وأتمكن من تقديم تعريف يليق بهذه الشخصية العظيمة ليس فقط في الجزائر ولكن في أصقاع الدنيا، وكانت الفرصة مواتية بقناة فضائية خليجية كبيرة أن أبدأ في سلسلة حلقات عن الشخصيات الفذة من بينها الشيخ «عبد الحميد بن باديس» لكن توقف المشروع لظروف لا يتسع المقام هنا لذكرها،إلى أن سنحت الفرصة ووجدتها مواتية لأقدم شيئا ولو محتشما عن هذه الشخصية التي أسميتها «إمام الأمة» وهذا تيمنا بما قاله عزوجل عن سيدنا إبراهيم - مجازا طبعا- « إن إبراهيم كان أمة». والمعلوم كما جاء في شرح هذه الآية أن الآية فيها الدلالة على أن إبراهيم عليه السلام كان محققا للتوحيد، ووجه الدلالة أنه كان أمة، والأمة هو الإمام الذي جمع فيه صفات الكمال البشري وصفات الخير، وهذا يعني أنه لم ينقص من صفات الخير شيئا، وهذا هو معنى تحقيق التوحيد. والأمة تطلق في القرآن إطلاقات ،فمن تلك الإطلاقات أن يكون معنى الأمة «الإمام المقتدى به في الخير»، وسمي أمة لأنه يقوم مقام أمة في الاقتداء، ولأن من سار على سيره غير مستوحش ولامتردد، لأنه ليس مع واحد فقط وإنما هو مع أمة. والشيخ «عبد الحميد بن باديس» كان أمة لوحده، ومسيرته قدوة لكل الأجيال في كل الأعصار والأمصار، وغني عن الاستزادة أن نتحدث عن الدور الكبير الذي قام به بمعية رفقائه الذين يعدون هم أيضا أما وصناديد الفكر التنويري في القرن العشرين بدون منازع.

لقد أردنا التطرق لموضوع هذا الفيلم الوثائقي _ الذي من حسناته أن شارك فيه اثنان من رؤساء جمعية العلماء المسلمين، سماحة الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله، وسماحة الدكتور عبد الرزاق قسوم- لنفتح شهية الحديث أكثر عن شخصية عبد الحميد بن باديس على وجه الخصوص، وجمعية العلماء على وجه العموم وحتى نكسر ذلك الحاجز النفسي أمام العقبات التي تعترضنا نحن الإعلاميين والمخرجين عندما يتعلق الأمر بشخصيات الإصلاح وبرجالات الأمة الذين قدموا الكثير والكثير للجزائر.

فليس المناسبة فقط هي التي دفعتنا لنتحدث عن هذا الفيلم أو نتحدث عن شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولكن الحاجة الملحة لمثل هذه الأفلام في مثل هذه الظروف حيث تعرت الحياة بأكملها واصبحت أقرب إلى التفكك من كل القيم ومن كل ما يربطنا بالهوية العربية والإسلامية، ويبعدنا عن كل ما يمت بصلة إلى التواجد الحضاري على أرض صلبة اسمها «الخصوصية الحضارية» ،هي التي جعلتنا نقر بأن مثل هذه الأفلام ستعطينا دفعا قويا نحو مراجعة التفكير وهيكلة كل ما من شأنه أن يرتب لنا الحياة الثقافية من جديد.

فيلم «إمام الأمة» سيكون حاضرا في سلطنة عمان بدعوة من سعادة السفير الجزائري هناك، الذي حرص على أن يقدم الفيلم للجالية الجزائرية، ومعلوم أن سلطنة عمان بها جزائريون كثر، وتعد الدولة ربما الوحيدة في الخليج التي لها صلة قرابة ووشائج قوية مع الشعب الجزائري عبر عقود وعقود تصل إلى قرون وأكثر، كما سيكون جاهزا ترجمة وتقنية في فرنسا باللغة الفرنسية تحت إشراف فرنسيين من قناة فرانس 2، وهذه لوحدها تعتبر مكسبا حضاريا تحقق في انتظار أن يكون باللغة الإنكليزية، وحتى الإسبانية. فضلا عن عرض سيكون في مستغانم كجزء من إحياء للتاريخ الجمعي الجزائري أين كان الشعب الجزائري لحمة واحدة قبل أن تمسه هزات كان سببها التجهيل المتعمد الذي كرسته فرنسا عبر سياسة مدروسة، وسيكون العرض كنوع من محو للحادثة التي كان سببها أحد الطرقيين بمستغانم الذي حاول اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبعد أن سميت جامعة مستغانم بجامعة عبد الحميد بن باديس كنوع من المصالحة التاريخية، والحمد لله سيكون الفيلم «إمام الأمة» حاضرا في هذه الجامعة وفي الولاية العظيمة مستغانم.

يوم العلم لهذا العام أردناه وثائقيا، ونريده أن يستمر هذا اليوم احتفالية وقدوة، وحتى نؤسس لعادة حميدة نريده أن يكون على مدار العام، فالعلم ليس محصورا فقط في يوم أو يومين، ومتأكد أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لو كان بينا حيا يرزق لأكد على استمرارية التوظيف الحقيقي لهذا اليوم ليكون على طول السنة، لأن العلم لا حد له من حيث الزمان والمكان، وهو فقط العلم الذي به ترقى الأمة وتزدهر، وليس بشيء آخر.

إعلامي ومخرج أفلام وثائقية

الرجل الذي عاش للإسلام وللجزائر

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

الناس في حياتهم الدنيوية وفي رحلتهم العابرة على هذه الأرض صنفان : صنف يعيش الحياة في جانبها المادي، فهو منذ يعي ويعقل يتخذ من السعي في طلب الرزق وتلبية المطالب المادية العاجلة هدفه في الحياة لا يلوي على غيره ولا يلتفت إلى سواه، حيث يظل يدور حول نفسه ولا يفكر إلا في ذاته أو في الأقربين منه دون أن يتعداهم إلى سواهم

فهذا صنف لا يعيش إلا لنفسه ولا يرى أنه خلق إلا لتحقيق رغباته وتلبية مطالب نفسه، دون أن يكون لوجوده في هذه الحياة غاية أخرى غير ذلك..وصنف ثان من الناس رأى وجوده في الحياة أسمى وأرفع من أن تكون غايته أكلا وشربا ونوما وجمعا للحطام أو دورانا حول الذات، وإنما الحياة في نظره فرصة للسمو ومجال رحب لتحقيق الغايات العالية والأهداف الكبيرة.

هذا الصنف الثاني هو الذي تحتاجه الإنسانية، وهو المنوط به تحقيق الغاية التي خلق الإنسان لأجلها، ذلك أن الغايات الكبيرة والأهداف السامية تحتاج لتحقيقها إلى من يجعل من حياته سببا لحياة غيره، ويجعل من عمله وسعيه سببا لتحقيق المصلحة العامة لمجتمعه وأمته والإنسانية جمعاء، وبهؤلاء تسعد الإنسانية ويصلح حالها وتنتظم مصالحها وتندفع المفاسد عنها، على عكس الصنف الأول الذي لا يهتم إلا بذاته ولا يعنيه غيره، فهذا ضرره أكبر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه، وما أوتيت الإنسانية وما تضررت وانحطت أحوالها وتردت مجتمعاتها إلا بسبب كثرة من ينتمون إلى الصنف الأول وقلة من ينتمون إلى الصنف الثاني.

نقول هذا الكلام، ونحن نستحضر ذكرى مرور ثلاثة وسبعين عاما على وفاة ابن الجزائر الأكبر وعلمها الأشهر الإمام العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله [١٨٨٩-١٩٤٠]. هذا الرجل الذي استحق أن يخلد في ذاكرة الأمة الجزائرية لما تحلى به من خصال وما قدمه من خدمات وما أنجزه من أعمال سجلتها الأقلام وتناقلتها الأجيال.

لقد شاءت إرادة الله عز وجل أن يولد ابن باديس في مرحلة من تاريخ الجزائر، كادت فيها الأمة الجزائرية أن تفقد كل مقومات وجودها كأمة وككيان مستقل، حيث عمل الاستدمار الفرنسي على محو كل معالم ومظاهر الاستقلال الحضاري للشعب الجزائري، من دين ولغة وتاريخ. وقد كان ميلاده في أسرة ذات وجاهة ونفوذ وعلاقة بالسلطة الاستدمارية المسيطرة على الجزائر في تلك المرحلة، إلا أن كل ذلك لم يمنع أن يتجه وجهة مغايرة تماما لما كان يُنتظر من مثله، فإذا به يسعى لحفظ القرآن الكريم وتحصيل العلم، والسفر من أجل ذلك إلى خارج البلاد للاحتكاك بالعلماء والانتفاع من علمهم والاستفادة منهم، فكان أن التحق بالزيتونة في تونس، وسافر لأداء فريضة الحج وزار مصر والشام والقدس، ورأى من أوضاع المسلمين وأحوالهم، إلى جانب ما كان يعيشه قومه في الجزائر، ما آلم نفسه وجرح شعوره، وهو ما كان سببا في تفتح وعيه وشعوره بحاجة الأمة إلى قيام مصلحين ربانيين يتفرغون لانتشالها مما انحطت إليه من تخلف وضياع، وما ترزح تحته من احتلال واستغلال.

لقد دفع ذلك ابن باديس رحمه الله إلى التفكير فيما يمكن عمله لإنقاذ أبناء وطنه الجزائر مما كانوا يتقلبون فيه من ذل وجهل وهوان واستغلال، فألهمه الله عز وجل أن السبيل إلى ذلك إنما يكون بنشر العلم وإحياء حبه في النفوس، فكان أن انطلق في البداية بجهود فردية من خلال دروس كان يلقيها على مجموعة من طلبته في الجامع الأخضر، ليتسع مجال نشاطه بعد ذلك إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفقة مجموعة من العلماء الذين كانوا يقاسمونه نفس الهموم ويتطلعون إلى تحقيق ما كان يصبو إلى تحقيقه من أهداف.

وقد جعل الإمام ابن باديس رحمه الله من تعليم الناس دينهم وتثقيفهم بأحكامه محورا أساسا أدار عليه أعماله وجهوده، ومنطلقه في ذلك أن الأمة لا يمكن أن تصلح إلا بما صلح به أولها، وهو الدين، فهو مصدر كل خير وأساس كل إصلاح ومنطلق كل تغيير.

ولم يدخر رحمه الله أي جهد أو طاقة في هذا الإطار، فقد فرغ نفسه من شؤون الدنيا كلها، ولم يشغل نفسه إلا بشيء واحد هو التعليم والإصلاح، فكان يقضي سحابة نهاره وقسطا من ليله في إلقاء دروس تفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليم الفقه ورواية السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وتدريس علوم اللغة العربية، إلى جانب كتابة المقالات الصحفية الإصلاحية، وقد بلغ عدد الدروس التي كان يلقيها الإمام كل يوم أربعة عشر درسا في علوم مختلفة، ينهيها بدرس التفسير بعد صلاة العشاء من كل يوم، ولمدة خمسة وعشرين عاما كاملة، وما كان ينام - في أكثر أيامه - سوى ساعتين من بين أربع وعشرين ساعة، كما لم يكن يأكل من الطعام إلا ما يقيم الأود ويعين على الاستمرار في العمل، وما كان له يوم راحة أسبوعي أبدا، فقد كان يبدأ دروسه صبيحة يوم السبت وينهيها مساء يوم الخميس، ليستقل بعد ذلك وسيلة نقل تحمله إلى مدينة من المدن الجزائرية يقضي فيها يوم الجمعة، محاضرا أو مدرسا أو متصلا ببعض علماء الجمعية أو مشاركا في تجمع إصلاحي، ليصبح يوم السبت على مقعد الدرس مستأنفا رحلة التعليم والتربية من جديد.

وقد ظل مواصلا هذا الجهاد المستميت وهذا الكفاح الدؤوب حتى أسقطه المرض وأنهكته العلة وفاضت روحه إلى بارئها عز وجل.

إن الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله يعتبر مثالا فريدا للإنسان الذي يلغي ذاته من أجل دينه وأمته وأبناء وطنه، ويتجاهل مطالب نفسه في سبيل تحقيق مطالب أمته، معتبرا ذلك واجبا مقدسا يجب عليه أداؤه والقيام به، وكان يمكن أن يعيش آمنا مطمئنا هانئا راضيا مستمتعا بما آتى الله أسرته من مال ونفوذ وجاه ومكانة، مهتما بنفسه وأسرته عاملا لتحقيق مصلحته ومصلحة أسرته، دون أن يهتم بأمر آخر..

ولكنها الرجولة الحقة والنفس الكبيرة المستعلية على متاع الدنيا وحطامها، الطامحة إلى تحقيق معالي الأمور والارتفاع إلى أعلى مراتب المجد، هي التي دفعت ابن باديس إلى التضحية بكل متاع الحياة ومغرياتها والرغبة فيما عند الله عز وجل وما ادخره للعاملين المصلحين من أجر عظيم ونعيم مقيم.

لقد عاش الإمام ابن باديس رحمه الله للإسلام، لأنه في نظره الدين الحق الذي لن تسعد الإنسانية ولن تصلح أحوالها إلا حين تهتدي بهديه وتعمل بتشريعاته، فجعل من تعريف أبناء وطنه به منطلقا إلى تعريف الإنسانية كلها به، وقد تحقق للإمام ما هدف إليه من ذلك حين رأى أبناء وطنه يعودون إلى دينهم يقرؤون كتابه ويقتدون بنبيه ويتفقهون في أحكامه ويتبعون تعاليمه.

كما أنه رحمه الله عاش للجزائر، وجعل العمل لها ولمصلحة أبنائها واجبا أساسا سعى في أدائه والقيام به سعيا حثيثا وبذل في ذلك غاية ما يستطيع من جهد واستفرغ ما أمكنه من وُسْع وطاقة، موقنا أن العمل للجزائر هو عمل للدين وجهاد في سبيل الله، لأن في نهضة الجزائر وتحررها وصلاح أحوالها وانتظام أمورها وتمسك أبنائها بدينهم وهويتهم نهضة للأمة كلها وبابا إلى صلاحها وانتظام أحوالها، فلا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه كما هو معلوم، وكل أبناء جزء من الأمة معنيون بإصلاح الجزء الذي ينتمون إليه قبل أن يفكروا في إصلاح غيره من الأجزاء.

لم يكن ابن باديس يعمل وحده، لقد كان يعمل في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتباره رئيسا لها، إلا أن الجهد الذي بذله والاستماتة التي أظهرها والانغماس المطلق في العمل الإصلاحي الذي نذر له نفسه، لم يستطع أن يرقى إليه أحد من إخوانه العلماء، رغم ما بذلوه جميعا من جهود وما لقوه من متاعب وما قدموه من تضحيات.

رحم الله الإمام ابن باديس وجميع إخوانه العلماء الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الله ومن أجل إحياء الإسلام في النفوس ولتحرر الجزائر ونهضتها، وجازاهم بما يستحقون على ذلك من أجر وثواب ومراتب عالية في جنات النعيم.

لمـــن أعيـــــش

بمناسبة يوم العلم ننشر ملخص هذه المحاضرة التي ألقاها الشيخ عبد الحميد بن باديس على أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وقد حدد فيها الخطوط العريضة لنظرية التغيير كما يتبناها ونزعته الإنسانية وفلسفته في الإصلاح وأولوياته الدعوية. كان ابن باديس واضحا في تبنيه الإسلام كمرجعية للتغيير، كما أنه كان واضحا عندما حدد مجال التغيير.

يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس:
أيها الإخوة:

ينبغي لكل قوم جمعهم عمل أن يفهم بعضهم بعضا، كما ينبغي أن يفهموا العمل الذي هم متعاونون عليه ليكونوا في سيرهم على بصيرة من أنفسهم وعملهم، فقد يجتمع قوم على عمل مع اختلاف منازعهم فيأخذ كل واحد ليجذب إلى ناحية فتقع الخصومة ما بينهم وينقطع حبل عملهم وربما انتهى بهم الأمر إلى افتراق وعدوان، ولو أنهم في أول الأمر تفاهموا لما تخاصموا.

فنحن - أيها الإخوة - الذين اجتمعنا على التربية والتعليم من معلم ومتعلم يجب علينا أن يفهم بعضنا بعضاً، والمعلم هو الذي يجب أن يفهمه المتعلمون ويفهمهم هو في نفسه، لأنه هو الذي انتصب ليبث فيهم أفكاراً وأخلاقاً وآداباً، وهو مؤثر عليهم أثراً لا محالة، فمن واجب نصحه لهم أن يفهمه في نفسه لينظروا في قبول التأثر به فيستمرون معه، وعدم قبوله فيفارقونه، وليكون من قبلوا واستمروا مجتمعين على شيء قد فهموه واتفقوا على البقاء فيه والتعاون عليه.

وأنا أظن نفسي مفهوما عند من يتصلون بي مثلكم ولو كان ذلك في زمن قليل لأنني ما فتئت أعلن عن فكرتي التي أعيش لها وغايتي التي أسعى إليها في كل مناسبة، واليوم - وقد كان تباين ما في بعض من يتصلون بي - رأيت من الواجب أن ألقي عليكم هذا البيان مختصراً في سؤال وجواب ثم أقفي عليه بشيء من الشرح والتفصيل:

س: لمن أعيش أنا؟

ج: أعيش للإسلام والجزائر.

قد يقول قائل: أن هذا ضيق في النظر، وتعصب للنفس، وتصور في العمل، وتقصير في النفع. فليس الإسلام وحده ديناً للبشرية، ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان، ولأوطان الإنسانية كلها حق على كل واحد من أبناء الإنسانية، ولكل دين من أديانها حقه من الاحترام.

فأقول: نعم إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها، والحدب عليها في جميع أوطانها، واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها، هو ما نقصده ونرمي إليه، ونعمل على تربيتنا وتربية من إلينا عليه، ولكن هذه الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة فوجب التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة وإيصال هذا النفع.

ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها فيقول: (17/70) {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} ويقرر التساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس، ويبين أنهم كانوا أجناساً للتمييز لا للتفضيل، وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط فيقول: (49/13) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}. ويدعو تلك الأجناس كلها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة فيقول: (4/1) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ}.

ويقرر التضامن الإنساني العام بأن الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع، والإساءة إلى واحد إساءة إلى الجميع فيقول: (5/35){مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}. ويعترف بالأديان الأخرى ويحترمها ويسلم أمر التصرف فيها لأهلها فيقول: (109/6) {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}. ويقرر شرائع الأمم ويهون عليها شأن الاختلاف ويدعوها كلها إلى التسابق في الخيرات فيقول: (5/15) {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءِ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}. ويأمر بالعدل العام مع العدو والصديق فيقول: (5/9) {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ}. ويحرم الاعتداء تحريما عاما على البغيض والحبيب فيقول: (5/3) {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ}. ويأمر بالإحسان العام فيقول: (12/90){ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}. ويأمر التخاطب العام فيقول: (2/38){ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}.

فلما عرفنا هذا وأكثر من هذا في الإسلام - وهو الدين الذي فطرنا عليه الله بفضله - علمنا أنه دين الإنسانية لا نجاة لها ولا سعادة إلا به، وأن خدمتها لا تكون إلا على أصوله، وأن إيصال النفع إليها لا يكن إلا من طريقه، فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر هدايته، وخدمة كل ما هو بسبيله ومن ناحيته، فإذا عشت له فإني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها، في جميع أجناسها وأوطانها، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها، وما كنا لنكون هكذا إلا بالإسلام الذي ندين به ونعيش له ونعمل من أجله.

فهذا - أيها الإخوان - معنى قولي: «إنني أعيش للإسلام».

أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض عليّ تلك الروابط لأجله -كجزء منه- فروضا خاصة، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل به مباشرة، كما أنني كلما أردت أن أعمل عملاً وجدتني في حاجة إليه: إلى رجاله وإلى حاله وإلى آلامه وإلى آماله، كذلك أجدني إذا عملت قد خدمت بعملي ناحية أو أكثر مما كنت في حاجة إليه.

هكذا هذا الاتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال وفي جميع الأعمال، وأحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه لابد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة وهذا الاتصال.

نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لابد أن نكون قد خدمناها، وأوصلنا إليها النفع والخير من طريق خدمتنا لوطننا.

وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآداباً وأخلاقاً وتاريخا ومصلحة، ثم الوطن العربي والإسلامي ثم وطن الإنسانية العام، ولن نستطيع أن نؤدي خدمة مثمرة لشيء من هذه كلها إلا إذا خدمنا الجزائر.

وما مثلنا في وطننا الخاص - وكل ذي وطن خاص - إلا كمثل جماعة ذوي بيوت من قرية واحدة، فبخدمة كل واحد لبيته تتكون من مجموع البيوت قرية سعيدة راقية، ومن ضيع بيته فهو لما سواها أضيع، وبقدر قيام كل واحد بأمر بيته تترقى القرية وتسعد، وبقدر إهمال كل واحد لبيته تشقى القرية وتنحط.

فنحن إذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للأضرار بسواها -معاذا بالله- ولكن لننفعها وننفع ما اتصل بها من أوطان الأقرب فالأقرب.

هذا - أيها الإخوان - وقد فهمتموني وعرفتم سمو فكرة العيش للإسلام والجزائر فهل تعيشون مثلي للإسلام والجزائر؟.

نعم! نعم! بصوت واحد.

فلنقل كلنا: ليحي الإسلام! لتحي الجزائر.

خلـــود العالـــم

ليست صفة الخلود لصيقة إلا بمن خلوده باقي، وهو الله الخالق الباقي، أما البشر، فليس لهم حظ من هذا الخلود، إلا ما يحفظ أعمالا للخير باقية، وللناس في هذا الحظ نسب متفاوتة، فهناك من يكون خلوده سنة، وهناك من يكون خلوده سنتان، وهناك من يكون سنوات، وهناك من يكون خلوده باق ما بقي البشر على ظهر هذه البسيطة، والعلماء بعد الأنبياء والأصفياء والصحابة أكثر الناس خلودا، وقد تكون ذاكرة الأمة نسيت ذكر عالم، لكن حجم هذا النسيان -إذا قيس بمن خلدته هذه الذاكرة- بسيط، بل ويكاد يكون معدوما، فما من عالم علم وكتب، إلا وله في سجل هذه الذاكرة نصيب قل أو كثر، والجزائر في هذا لا تخرج عن هذه القاعدة، فأسماء علمائنا يحفظها جيل بعد جيل، وما تركوه من آثار علمية و أدبية، قرأتها الأجيال واستوعبتها، وسلمتها مدونة محفوظة إلى الجيل اللاحق، وهذا هو واجب الأمة تجاه العالم، لأنه عنوان مسيرتها الحضارية.

واليوم ونحن نحتفل بذكرى يوم العلم، نقف بإجلال أمام هذا الخـــالد الذكر، إمام الجزائر وعالمها الأول ومؤسس فيها - كما قيل - خير جمعية أخرجت للناس، اليوم نستحضر جهاد هذا العالم الرباني بحق، الذي أراد تكون للجزائر شخصيتها وهويتها ولغتها ومكانتها بين شعوب الأرض، أراد للجزائر أن لا تكون فرنسية، وللغتها أن لا تكون إلا اللغة العربية، فليس أبلغ مما يقال في هذا المقام من تلك الكلمات الخالدات التي سطرها يراع شيخنا الخالد، هذه الكلمات التي مازالت ترن في أذن كل جزائري أصيل،: «إن الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا لو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد... في لغتها، وفي أخلاقها، وعنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج ولها وطن معين هو الوطن الجزائري»، فهل لسائل عن هوية الجزائر، ولغتها بعد هذه الكلمات من مستزيد، لقد حسم الرجل موقفه وموقف الجمعية وموقف الشعب الجزائري، تجاه ذلك الجدل الذي أبرزته الروح الاستعمارية، بين أبناء الشعب الواحد في دينه ولغته وانتمائه الحضاري.

كل عام والشعب الجزائري بخير، ودينه ولغته بألف خير.

أبو محمد أويس

قضايا فقهية معاصرة

الدكتور: محمد هنو

رتق غشاء البكارة

غشاء البكارة هو جلدة مخاطية رقيقة ومستديرة تقع داخل المهبل، دورها حماية عنق المهبل الموصِل إلى الرَّحم من دخول أيّ شيء إليه، وفيها فتحة صغيرة تسمح بخروج دم الحيض، وهذا الغشاء يتهتّك إذا وُطئت المرأة، فتنقطع الشعيرات الدموية المتّصلة به، وتسيل منها قطيرات من الدم، ويعتمد النّاس فيما جَرى به أعراف المجتمعات العربية والإسلامية على ذلك في الدلالة على أنّ المرأة لم توطأ من قبل، فيكون ذلك مؤكّداً للأصل في كونها عفيفة، ومن هنا كان لهذا الغشاء قيمة كبيرة عند الناس.

وتمزق هذا الغشاء كما هو ممكن بممارسة الجنس على المرأة قبل الزواج، إما بإكراهها وهو الاغتصاب، أو برغبتها وهو الزنا؛ ممكن بالحوادث كالسقوط أو الوثب أو التصادم، أو ركوب الدراجة أو الدابة، أو ممارسة بعض الأنشطة الرياضية، أو الاحتكاك بالأصبع أو نحوه.

وقد توصّل العلم الحديث في مجال الجراحة إلى إمكان إعادة الغشاء إلى حاله الطبيعية، فيكون كأنه لم يتمزق، وتُسمّى عملية (الرتق العذري)، ومن هنا يُطرح الإشكال من الناحية الشرعية، هل ذلك جائزٌ أم لا؟

ووجه الإشكال: أنّ المرأة المتمزق غشاؤها إمّا أن تكون اغتُصبت، وإمّا أن تكون أصيبت بحادث، وإمّا أن تكون تزوّجت ثم طُلقت أو رُملت، وإما أن تكون زنت، وكلّ ذلك لا يثبت إلاّ بالحكم القضائي المبني على البينات والأدلة المعتبرة شرعًا، وبتردّد هذه الاحتمالات يتردّد الحكم الشرعي:

الحالة الأولى: ثبوت الاغتصاب أو الحادث.

إذا ثبت بالقضاء اغتصاب المرأة أو تعرضها لحادث؛ فقد ثبت أنّ الأمر خارج عن اختيار المرأة وإرادتها، فأرى أنّ رتق الغشاء في هذه الحالة جائز شرعًا، والدليل:

1. أنّ الشارع جرت عادته بأن لا يحمِّل المكلّف مسؤولية التصرّفات الخارجة عن إرادته واختياره، كما في نطق المكرَه بكلمة الكفر، وطلاق المكرَه، والمفطر ناسيا في نهار رمضان، ونحوها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(ابن ماجه: 2045).

2. دفع المفسدة المتوقعة على المرأة حال عدم الرتق، وهي: توهّم الزنا، مما يؤدي إلى اختلال العلاقة مع الزوج، ومن ثم إلى الطلاق، وربما إلى العنوسة الدائمة، و(الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها) كما يقول ابن تيمية، وليس في الرتق مفسدة أولى بالدفع من هذه المفسدة فيما يظهر لي.

الحالة الثانية: ثبوت الزواج، ثم الطلاق أو وفاة الزوج.

لا أرى جواز الرتق في هذه الحالة؛ إذ لا غرض له سوى تغرير الزوج بأنّ المرأة بكر لم تنكح ولم توطأ، خاصة إذا رحلت عن المكان الذي عاشت فيه إلى حيث لا تُعلم سيرتها، والبكر ليست كالثيب لا شرعا ولا عرفا، والتغرير غشّ محرّم، قال صلى الله عليه وسلم: (من غش فليس مني) (مسلم: 102).

الحالة الثالثة: ثبوت الزنا.

لا يجوز الرتق في هذه الحالة، لقوله تعالى: {الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}(سورة النور: 3)، ولقوله: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} (سورة النور: 26)، بمعنى أن الزانية ليس من شأن العفيف أن ينكحها، ولا يرغب في نكاحها إلا زان مثلها؛ لشبه أخلاقه بأخلاقها، بل ذكر بعض الفقهاء أنّ هذا النكاح لو وقع يُفسخ، وتستثنى من هذا حالة خاصة، وهي إذا عُلمت منها التوبة وحسن السيرة والاستقامة، وأرى ذلك لا يثبت للقاضي أو المفتي إلا بمداومتها على تلك الحال وثباتها عليها مدة معتبرة كسنتين وثلاث، مع استفاضة العلم باستقامتها، لا بالاعتماد على مجرد قولها أو قول آحاد معارفها، وهذه الحالات يحقّق فيها المناط حالة حالة، وذلك من طرف أهل القضاء أو الفتوى المعتبرين، ولا نقول فيها بحكم عام، ولا يجوز للطبيب أن يقوم بالرتق اعتمادا على اجتهاده، ودليل هذه الحالة الخاصّة هو: مصلحة الستر على المؤمن، وما يترتب عليها من استئناف حياة طبيعية، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (البخاري: 2442)، وقال لهزّال -صاحب ماعز الذي أشار عليه أن يعترف بالزنا-: «ويلك يا هزّال، لو كنت سترته بثوبك كان خيرًا لك»(أحمد: 21891)، وقال عمر -رضي الله عنه- للذي جاء يعترف لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنّه أصاب من امرأة ما دون أن يمسّها: «لقد سترك الله لو سترت نفسك»(مسلم: 2763)، والستر مقيد بأن لا تكون افتضحت، وإلا فلا معنى للستر عليها.

الحالة الرابعة: لم يثبت الاغتصاب ولا الحادث ولا الزواج ولا الزنا.

لا يُرتق الغشاء حتى يثبت بالقضاء سبب التمزق، إذ لا يخلو أن يكون أحد الأسباب الماضية، فنعامل كلّ حالة بحسب ما ذكرنا، والله أعلم.

خطبة الأسبوع

الحصاد الخيري الذي نحصده من العبات

بقلم: عمّار رقبة الشُّرفي

يقول جلّ من قائل:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}[سورة التوبة الآية: 103].

ويقول جلّ جلاله:{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}[سورة العنكبوت الآية: 45].

ويقول:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[سورة البقرة الآية: 183].

بَّين الله جلّ جلاله حكمة هذه العبادات، ولكن هذا البيان الإلهي لا يمنع أن يكون لها حِكم أخرى كثيرة جداً، فمثلاً: اجتمع علماء التربية البدنية ليخططوا لتمريناتٍ معتدلة يستطيعها كلُّ الناس في كل الأعمار، وفي كل الأوقات، وفي كل الأمكنة، لا تؤذي قلوبهم، ولا تيبِّس عضلاتهم، فرسموا حركاتٍ، وسكناتٍ، وتمريناتٍ، تطابق الصلاة تطابقاً تاماً، فهذه الصلاة التي أمرنا الله بها، فضلاً عن أنها تقربنا إلى الله، وتذكّرنا به، وتصلنا به، إنها ذات فائدة لأجسامنا.

إليكم مغزى هذه القصة:

أيها الأخوة، لا أنسى أن امرأةً ذهبت إلى بلدٍ غربي، لتعالج من مرضٍ مزعج، وهو داء الشقيقة الذي هو آلامٌ في الرأس مستمرة، سألها الطبيب عِلْماً أنه لا يعرف الله عزَّ وجل، من أين أنتِ؟ قالت: من سوريا، قال: أتصلين؟ قالت: لا، قال: صل يذهب ما بكِ، عجبت وانزعجت! عجبت من أنها ركبت الطائرة، ودفعت آلاف الليرات، ليقال لها: صل! لكنها لم تعجب حينما بين لها الطبيب، أن أحد أسباب الشقيقة ضعفٌ في تروية الشرايين في الدماغ، وأن السجود يوسّع هذه الشرايين، ويجعل الدم يتدفق نحو الرأس، لأن من أسباب الشقيقة، ضعف التروية في أوعية المخ.

فهذا السجود، وذاك الركوع، وهذا الوضوء، هذا كله في ظاهره عبادات، وقربات، واتصال بالله، ولكن لو درسه علماءٌ متخصصون، علماءٌ في التربية البدنية، علماءٌ في أمراض الأوعية والشرايين، لوجدوا العجب العجاب، لوجدوا أن حركات الصلاة، وأن الوضوء قبل الصلاة، ينفي عن الإنسان أمراضاً كثيرة.

الإعجاز التّأثيريّ للقرآن الكريم

إن إعجاز القرآن حقيقة قاطعة، وبدهيّة مقرّرة ولهذا الإعجاز القرآني وسيلة إلى هدف عظيم، وغاية سامية، وليس هدفاً بحد ذاته.

فالقرآن كتاب هداية ورشاد، يخرج الناس من ظلمات الشرك والجهل إلى نور معرفة الله والإيمان به والاستجابة له.

وما من يوم يطلع شمسه إلّا وعشرات يدخلون في دين الإسلام، لأنه دين الحق الّذي لا غموض فيه ولا أسرار ولا طلاسم ولا متناقضات.

وقد أجمع الباحثون على القول بالإعجاز البياني، وأن القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه وبيانه وتعبيره، وأنه بهذا يقدّم شهادة عظيمة على المسألة، إثبات أن القرآن كلام الله تعالى.

إن آيات القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة ومواقف الصحابة بل وما في واقع الحياة البشريّة في عصرنا الحالي وكلّ ما ذكره الدكتور تثبت وترصد مظاهر هذا الوجه من وجوه الإعجاز في حياة البشر وتؤكد اختياره له.

الإعجاز التأثيري للقرآن يمتاز عن سائر وجوه الإعجاز بأنّه:

-1 المعجزة القائمة في كل حين.

-2 أنها تسع الناس جميعاً عالمهم وجاهلهم.

-3 أنها تسع لكل لغاتهم عربيهم وعجميهم.

-4 أنها لا تقتصر على الإنس وحدهم بل وتسع الجن أيضاً.

- مواضع التأثّر بالقرآن.

إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يردّ الصواب إلى أولئك جميعاً وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق وزلّة كل ذي زلل، ثم تكفّل بإزاحتها كلّها، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحدة منهم.

ومن وسائل القرآن التأثيرية: الترغيب والترهيب، حيث يقول الشيخ (والشعور بالرغبة والرهبة والرقّة تعمرك وأنت تستمع إلى قصص الأولين والآخرين تروى بلسان الحق ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمغازي والعبر تقشعرّ منه الجلود).

مظاهر أثر القرآن الكريم على المؤمنين:

عندما نتتبّع أثر كلام الله تعالى - القرآن الكريم - فيمن سمعه وتدبّره من البشر، فإننا نجد أنّ أوّل من يتأثّر بكلامه هم من تلقّوه، وكلّفهم الله ببلاغه للبشر وهم الأنبياء والرسل، ولذلك يقول الله تعالى بعد أن تحدّث عن بعض الأنبياء والمرسل في سورة مريم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}.

والسجود حركة ظاهريّة، تعبّر عن أعلى وصدق درجات الانقياد والاستسلام والتذلّل للمسجود له، وأما البكاء فهو تنفيس عن انفعالات داخليّة شديدة يعجز صاحبها عن التعبير عنها فتعبّر عيناه بالدمع، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل المتأثّرين بالقرآن الكريم تأثّراً باطنياً وظاهرياً وكفى سلوكه شاهداً على ذلك وبرهاناً عليه.

اطمئنان القلوب:

إن اطمئنان القلوب مرحلة تأتي بعد إيمان عميق، وسماع واعٍ، وتدبّر للقرآن، فإذا عاشت القلوب علىَ هذا المنوال تصل إلى مرحلة من الاطمئنان إلى وعد الله في كتابه الذي لا تحرّكه الزلازل، إنها القلوب المطمئنّة التي بلغ فيها القرآن مبلغاً من التأثير فقال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}(أي هؤلاء تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله، لأنها تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن). وقال مجاهد وقتادة: تطمئن قلوبهم بالقرآن الكريم.

إن النفس البشرية بحاجة إلى الاطمئنان في الأمور الهامّة، فهي تريد الاطمئنان بعد الحياة ماذا بعد الحياة؟ يجيب القرآن على ذلك {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}.

هكذا يجيب القرآن علىَ هذا التساؤل الداخلي في النفس الإنسانية، فيضع أمامها الحقائق في يسر وسهولة، وتأثيرٍ بالغ، فتطمئنّ إلى ما تعمله، إن كان خيراً، فموت، ثم بعث ثم حساب ثم جنة، وإن كان شراً، فموت ثم بعث ثم حساب ثم نار.

إذا فلا طريق إلى طمأنينة القلوب وسعادتها وأنسها وبهجتها إلّا بذكر الله لا بغيره، فالسبب الوحيد لطمأنينة القلوب وشفائها من أمراضها وزوال قلقها ووحشتها هو ذكر الله.

الدكتور خالد محمد القضاة

مفاهيم ومصطلحات

مفهوم العلم الإسلام

كل من تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعرض سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وجد أن للعلم والمعرفة شأنا عظيما، فقد عَرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ أول ما أوحي إليه أنه سيكون له وللعلم شأن عظيم، وللمعرفة في دعوته مقام رفيع، ومنذ أن أيقن صلى الله عليه وسلم أنه كلف تبليغ رسالة الله الخاتمة، لبى أمر خالق الأرض والسماوات، ومدبر أمر الإنسان ومربي الكائنات، فدعا العالمين إلى الإسلام وأقام لهم العلامات على صدقه، ولم يمض من الزمن غير يسير حتى أنشأ دولة عظيمة كان العلم أساسها والمعرفة سبيلها.

لقد نص علماء الإسلام منذ القديم على أن إطلاق العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية ينصرف أولا إلى علم الوحي والشريعة، فالعلم الشرعي أفضل العلوم وهو جدير بالطلب والحرص على تحصيله؛ لأنه به يعرف الله سبحانه وتعالى ويعبد، وبهذا العلم يعرف ما أحل الله وما حرم وما يرضيه وما يسخطه، يقول الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(فاطر:28) «أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر».

وإن إطلاق العلم على علم الشريعة لا ينفي صفة العلم عن معارف الدنيا وعلوم الحياة التي يهتدي إليها الإنسان عبر الزمان والمكان، والتي تسمى اليوم «علوم الكون» أو «العلوم التجريبية»؛ لأنها تؤخذ من التجربة المطردة والخبرة المتكررة، وسبب ذلك أن علوم الكون من علم الله تعالى الذي يفتح منه على عباده، فيعرفون خصائص الكون وصفات الإنسان وأحوال عالم الأحياء وقانونَ ذلك كله.

a.talbi@albassair.org – الدكتور : عمار الطالبي*

مختصر تفسير ابن عاشور (117)

وبالآية السابقة ثبت شرع القصاص في قتل العمد، وحكمته ردع المجرمين حتى لا يقدموا على إزهاق الأنفس، متى علموا أن جزاءهم القتل، فإن الحياة أعز شيء على الإنسان، فأية عقوبة لا يمكن أن تعادل عقوبة القتل من جهة الردع، ومن حكمة ذلك أيضا أن يطمئن أولياء القتيل بأن القضاء يأخذ بحقهم في القصاص فلا يقبلون على الانتقام لقتيلهم بأنفسهم، قال الله تعالى: {وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً} (الإسراء:33)، فيؤدي ذلك إلى الاقتتال وإزهاق أنفس كثيرة إذا لم يشرع القصاص قضائيا.

وقوله: {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى}(البقرة: 178)، يقصد به أن القصاص كما يكون بين الرجال يكون بين النساء أيضا، وبين الرجال والنساء، فالآية محكمة، وإن كان فيها إجمال، فلا دلالة في الآية على ألا يقتل حر بعبد ولا أنثى بذكر، فالنفس تتناول الذكر والأنثى والحر والعبد والكبير والصغير ويقصد من الآية إبطال ما كان عليه أمر الجاهلية من ترك القصاص بسبب شرف أو غير ذلك، فدم المرأة أيضا معصوم ولذلك خصصت بالذِّكْر، لإبطال ما كان عليه شأن الجاهلية من عدم اعتبار جناية المرأة، وأنها غير مؤاخذة بجنايتها، وأجمع المسلمون على أن المرأة يقتص منها إذا جنت على الرجل، فالمعنى العام إنما هو التسوية بين أصناف الناس في القصاص، وإبطال عوائد الجاهلية، وعمومات القرآن تشهد على ذلك كما في قوله تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ} (الأنعام:151)، فالنفس للعموم لكرامة الإنسان عامة سواء كان ذكرا أو أنثى، حرا أو عبدا.

وقوله: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ}(البقرة: 178).

والمراد بهذا أن القصاص حق لولي القتيل وليس واجبا عليه، كما تومئ الآية إلى أن الأولى بالناس قبول الصلح إبقاء لأواصر الأخوة الإسلامية، واتفق المفسرون على أن المقصود هو الترغيب في المصالحة في أمر الدماء، فالمراد من قوله: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ} هو ولي القتيل، والمراد بأخيه هو القاتل، وصف بأنه أخ تذكيرا بأخوة الإسلام وترقيقا لنفس ولي القتيل، فإذا اعتبر أخا له كان من المروءة، ألا يميل إلى القصاص، لأنه كمن رضي بقتل أخيه. وقد قال بعض العرب لما قتل أخوه ابنه عمدا فقدم إليه أخوه ليقتص منه فرمى بالسيف وقال:

أقول للنفس تأساءً وتعزية
إحدى يدي أصابتني ولم تُرِد
كلاهما خَلف من فقد صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

والمقصود بكلمة «شيء» هنا هو عرض المصالحة، ومعنى «عفي له من أخيه» أنه مال إلى العفو، أي ما تيسر على القاتل من عوض في الصلح، لأنه من معاني العفو ما تيسر من المال الذي لا يجحف بالذي يبذله، وهذا يؤذن بمراعاة التيسير والسماحة، وليس العوض في قتل العمد معينا كما هو الأمر في قتل الخطأ، فقد يكون مالا أو إبلا أو عروضا أخرى ترضي ولي القتيل، ويكون أداء العوض بإحسان، والإتباع هنا هو القبول والرضا بما يبذل له من الصلح المتيسر، وعلى القاتل بذل ما تصالحا عليه دون مماطلة ولا نقص، والمقصد العام للآية الترغيب في الرضا بأخذ العوض عن دم القتيل بدلا من القصاص، لأبطال ما كان عليه أهل الجاهلية الذين يعيّرون من أخذ بالصلح في قتل العمد ويعتبرونه بيعا لدم قتيلهم، وأما قتل الخطأ فإن شأنه الدية الواجبة على أقارب القاتل أو قبيلته وهو ما يسمى بالعاقلة.

وإطلاق الأخ على من ماثلك في العقيدة تأصيل جاء به الإسلام الذي جعل التماثل في العقيدة كالتماثل في أخوة النسب، فالتوافق في الدين آصرة نفسانية والتوافق في النسب آصرة جسدية، والجانب الروحي أشرف من الجانب الجسدي وأعلى.

والمقصود «بالمعروف» أن يكون القبول والرضا بالصلح مصاحبا بالمعروف من قبول بالتقسيط إن سأله القاتل مثلا، والأداء هو بذل مال الصلح بلا مطل، وإبلاغه إلى ولي القتيل، ولا يكلفه الحضور بنفسه لقبضه، ومعنى «بإحسان» أي دون غطرسة ولا غضب ولا جفاء في المعاملة ولا نطق بكلام غير لائق.

وقوله: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمة} أي أن قبول العفو والأداء الحسن للعوض، والعدول عن القصاص إنما هو تخفيف من الله على الناس ورحمة منه، فالأخذ بالقصاص عدل وحق، والأخذ بالعفو رحمة، فمشروعية القصاص كافية في تحقيق مقصد الشريعة في تشريع القصاص من ردع الناس عن قتل النفوس وتحقيق حفظ حق المقتول بما يختاره وليه، والإذن في العفو إن تراضيا عليه إنما هو رحمة من الله للطرفين، فالعدل أولا والرحمة تأتي بعده ولاشك في وجود فرق شاسع بين الجاني القاتل الذي يتوقع القصاص وتكون حياته في يد ولي دم المقتول فلا يدري أيقبل منه الصلح أم لا يقبل، ومن هو واثق أنه لا قصاص عليه إذا أقدم على القتل، الأمر الذي يشجعه على قتل عدوه، وسفك دم خصمه.

وقوله: {فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (البقرة: 178) أي إذا حصل القاتل على العفو، ودفع العوض فإن ذلك يتطلب شكر الله على أن شرع جواز العفو وسخر الولي لهذا العفو، ومن الشكر ألا يعود إلى الجناية مرة أخرى، فإن عاد وارتكب جريمة القتل فله عذاب أليم، وفسر «العذاب الأليم» هنا بعذاب الدنيا أي القتل إن تمادى مرة أخرى للقتل، ولا يقبل عفو ولي القتيل لدى القضاء، ولا يمكن القاضي من العفو عنه، فتكرر الجناية يوجب التغليظ، وهذا ظاهر من مقاصد الشريعة، فعوده للقتل يدل على استخفافه بالأنفس، فيجب أن يستريح من شره الناس، وذهب بعضهم إلى أن من حق ولي القتيل العفو عنه، وقبول الصلح، ورأى عمر بن عبد العزيز أن يفوض الأمر على القاضي، ويشدد عليه، فذكر هذا الحكم بعد ذلك الرحمة يدل على أن هذا الجاني غير جدير هذه المرة بمزيد من الرحمة، وهو موضع نظر فقهي دقيق، وقد قرر وزير العدل عندنا في الجزائر هذه الأيام في مختطفي الأطفال أن يقتص من الجناة وأن يعدموا بالتعبير الحديث، وهذا من حق ولاة دم الأطفال الذي أعطاهم الله بالنص القرآني: «كتب عليكم القصاص».

وقوله:{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: 179)، هذا بيان لحكمة ما تقدم من الأحكام يؤدي إلى طمأنة نفوس الفريقين أولياء الدم والقاتلين، في قبول أحكم القصاص، وذلك أن القصاص في الحقيقة حفظ للحياة وإبقاء لها، وباب يعزز الحياة وإن ظهر لبادئ الرأي أنه قتل للنفس، ففيه حياة لنفوسنا بارتداع النفوس عن القتل، فلو تحقق القاتل أنه يسلم من الموت، فإنه يقدم على القتل مستخفا بالعقوبات الأخرى، وليس الترغيب في أخذ مال الصلح والعفو عن القصاص يتناقض مع حكمة القصاص، لأن الردع يحصل بتخيير الولي في قبول الصلح، فلا يطمئن مضمر القتل إلى عفو الولي، وأنه يحصل له إلا نادرا وقوله: «يا أولي الألباب» إشارة إلى أن حكمة القصاص لا يدركها إلا أهل العقول والنظر الصحيح، «لعلكم تتقول» أي فلا تتجاوزوا حد العدل والإنصاف والانتقام وقوله: «ولكم في القصاص حياة» من جوامع الكلم، وبدائعه لا يساويه به قولهم: «القتل أنفى للقتل» لأنه أبطل التكايل في الدماء الذي هو عادة الجاهلية، وأبطل مثل أي واحد وإن لم يكن هو القاتل.

رسالة من المدينة المنورة

اللقاء التاريخي

ابن باديس والإبراهيمي في المدينة المنورة

بقلم الأستاذ الدكتور: يحي بكلي*

هذا العام بالميلادي يوافق مائة سنة خلت من اللقاء التاريخي الذي حدث عام 1913 بين علمين وقطبين من أقطاب الجزائر ألا وهما الإمامان الجليلان عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي، وكان ذلك بمناسبة قدوم الإمام ابن باديس إلى البقاع المقدسة للحج، فكان للإمامين بحسب الروايات التاريخية لقاءات في دار الشيخ البشير الذي كان يسكن آنذاك في المدينة المنورة مع والده وذلك كل يوم خلال إقامة الإمام ابن باديس من بعد صلاة العشاء إلى آذان الفجر، فكانا يتدارسان ويتناقشان وضع الجزائر والتخلّف الذي صارت إليه الأمة في عهدهما حتى انتهيا إلى إبداع فكرة غاية في الروعة ستحمل في يوم مّا اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان أن تجسد الحلم ثمانية عشر سنة من بعد.

وسبحان الله تشاء الحكمة الإلهية أن لا يلتقيا في الجزائر رغم أن المسافة الفاصلة بينهما لم تكن تتعدى 150 كلم، فأبى الله -عزّ وجل- إلا أن يكون لقاؤهما في مدينة رسول الله ليقذف في مشروعهما البركة والعناية الإلهية، بدليل أن الجمعية هي أرسخ جمعية في الجزائر الحالية...

فحق للإمام ابن باديس الذي جاء للحج أن تصدق في حجته قوله تعالى في آية الحج (ليشهدوا منافع لهم) وأية منفعة..جمعية سيشع نورها ربوع الوطن ليتهيأ لطرد الاحتلال الغاشم، بينما في جيلنا غالبية الحجاج تبرمجوا أن منافع لهم هي التسوق والتجارة وشراء الهدايا للأهل وهذا جائز وحلال طبعا ولكن شتان بين المنافع ومستوياتها.

نعم ينبغي أن نعترف انه قد مرّ جيل قبلنا من العلماء ومن المثقفين الذين كانوا يعتمرون أو يحجون، كانوا يرفعون من سقف «منافع لهم» فمنهم من يأتي ليلتقي بذاك العالم أو ذاك، ومنهم من كان يأتي ليزكي علمه ويستزيد في علم من العلوم، ومنهم من عزم على الحصول على إجازة في متن من المتون أو قراءة من القراءات، ومنهم من عزم على ترك أوقاف ينتفع بها الناس من بعدهم (وسنخصص لهذه الجزئية مقالا مستقلا).

فغالبية العلماء الذين تركوا بصمة قوية في تاريخ الجزائر من أمثال ابن باديس والإبراهيمي والإمام بيوض وقبلهما الإمام اطفيش كان الحج لحظة مفصلية في حياتهم، كانت سببا في تغير جوهري في حياتهم وفي نقلة نوعية في شخصيتهم وفي الأوطان التي كانوا يعيشون فيها وحتى التي يمرون بها في طريق الحج.

فالإمام ابن باديس رجع من حجته بفكرة جمعية العلماء، والإمام بيوض رجع منها مشبعا بالأفكار الإصلاحية التي استقاها من الأمير شكيب ارسلان والتي سيفيض بها على الجنوب الجزائري، والشيخ أطفيش رجع من حجته وقد أخذ بنصيحة علماء مكة بأن يحقق ويحدث مراجعات في واحدة من أقوى مؤلفاته على الإطلاق وهو كتاب شرح النيل وشفاء العليل...

وإنني بصدق لأفرح حين أقرأ في مكتبة المسجد النبوي كلمات الإهداء التي يخطّها بعض العلماء والمفسرين الجزائريين في غلاف كتبهم التي ألفوها في الجزائر..فأين علماؤنا ومثقفونا اليوم من آية ليشهدوا منافع لهم؟..

إننا ندعو إلى تأسيس جيل من المعتمرين والحجاج يرفع من مستوى المنافع التي ينتفع بها من هذه الأرض الطيبة المباركة بحيث يرجع وفي زاده علوما وأفكارا ومشاريع خيرية يفيض بها على أسرته وعلى مدينته وعلى وطنه عساها تنهض بمستوى الأمة الفكري والأخلاقي الذي تردى اليوم إلى ما قبل بداية القرن الماضي. فهل من ملتقط للفكرة؟

الدكتور يحي بكلي
المدينة المنورة
28 جمادى الاولى 1434
YBAKELLI@HOTMAIL.COM

بقلم: أم محمد الأخضر

الاحتفاء بيوم العلم:
بين التذكير بالماضي المجيد، والتحفيز على التحصيل العلمي المفيد

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «العقل والعلم في القرآن الكريم»: «من قرأ القرآن الكريم وجد مادة «ع ل م» تشيع في سوره المكية والمدنية على سواء، بكل مشتقاتها اسما وفعلا ومصدرا، مئات المرات. ففعل «تعلمون» في خطاب الجمع تكرر 56 مرة بالإضافة إلى 3 مرات بصيغة «فستعلمون» و 9مرات بصيغة «تعلموا»، و85 مرة بصيغة «يعلمون» و7 مرات بصيغة «يعلموا»، ونحو 47 مرة تكرر فعل «علم» وما يشتق منه وما يتعلق به.

وكل هذا التكرار لهذه المادة ومشتقاتها دليل مؤكد على فضل العلم وبالغ أهميته في نظر القرآن الكريم.. ولكن هل منا اليوم من أعطى لهذا العلم قيمته؟ واستعمله في جلب النفع للبلاد والعباد...

وهل منا من له أدنى فكرة عن الاحتفاء بيوم العلم وانجازاته في الجزائر وغيرها من البلدان الإسلامية والعربية؟ التي توافق السادس عشر من شهر أبريل تخليدا لذكرى الشّيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، وتأسيسه خير جمعية أخرجت للناس وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فمن يكون هذا العالم الجليل، الجزائري الأصيل؟

ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1889 بقسنطينة مدينة العلم والعلماء، درس في جامع الزيتونة بتونس وكان إماما ومربّيا في الجامع الأخضر بقسنطينة الّذي فتحه سنة 1911، اتّصل بعلماء النهضة الإسلامية الشيخ محمّد عبده ورشيد رضا وساهم بنشاط في حركة الإصلاح الإسلامي، نشر في سنة 1925 صحيفة المنتقد الّتي كان ينذّد فيها بالخرافات ويدعو إلى الوعي الوطني. وبعد منع الصّحيفة أصدر في نفس السّنة «الشهاب» ثمّ «البصائر» حيث كان يشرح فيهما مفاهيم الوطنيّة للجماهير العريضة وكذلك العروبة والوفاء للإسلام، وهي الأركان الثّلاثة للشخصية الجزائرية. أسّس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وشارك في المؤتمر الإسلامي في شهر جوان 1936 وما انفك ينشط رغم عراقيل الإدارة الاستعمارية.

تُوفّي في 16 أفريل 1940 مخلّفا وراءه عملا سياسيا وثقافيا، غذّى فكر أجيال من الجزائريين. وهو القائل :»الجزائر وطننا، الإسلام ديننا والعربيّة لغتنا» والقائل كذلك: «شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب» وبما أنّه باعث العلم، فإنّ 16 ابريل من كل سنة هو «يوم العلم» احتفاء وتشريفا لباعثه في الجزائر. وتعودنا أن تتمّ مظاهر الاحتفال من خلال المعارض العلمية، والمؤتمرات الفكرية، ويا ليتنا أضفنا إلى ذلك تكريم المفكرين والباحثين الشباب، حتى نجعل منه حافزا سنويا يحدو شبيبتنا للتنافس في العلم، وولوج عالم الاختراعات والإبداع، وبذلك نخرج الجزائر من دائرة التخلف، ونوفر لها أسباب التطور والتقدم والازدهار، وبذلك يغدو السادس عشر من إبريل من كل سنة، مناسبة للتذكير بماض مجيد، وفرصة للتعريف بالجديد المفيد، وتحفيزا على تقديم المزيد...

لمسات تربوية
اتقـوا الله واعدلوا في أولادكم

روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) أن أباه أتى به إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: إني نحلت ابني هذا - أي أعطيته - غلاما كان لي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أكلّ ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال: لا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فارجعه.

وفي رواية فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أفعلت هذا بولدك كلّهم؟ قال: لا. قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» فرجع أبي فردّ تلك الصدقة.

وروى أنس أنّ رجلا كان عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ألا سوّيت بينهما»..

هذه المفاضلة بين الأولاد سواء كانت في الأعطيات أو في المعاملة أو في المحبة.. هي للأسف سبب في كثير من الانحرافات النفسية لأولادنا، وقد تترتب عليها آثار خطيرة جدا من حقد وحسد وغيرة مذمومة بين الإخوة .. أو الإخوة الأعداء فيما بعد..! نسأل الله العافية .. وانظروا إن شئتم تصرفات ومعاملات أولادكم حين تفضلون كبيرهم أو الولد منهم أو ذاك الهادئ الذي لا يطلب شيئا أو العكس ذاك الذي يأخذ حقه وزيادة بالحيلة واللعب على أوتار الدلال .. وغيرها، ألا ترون أنّ عامل الحب بينهم قليل .. ألا ترون أنّ الآخرين يمقتون ذاك الذي تفضلونه أو على الأقل يرون أنه أفضل حالا منهم وأكثر حظا منهم فيحسدونه ولا يحبون الخير له .. انظروا إخوتي ما تزرعون بقلوب أبنائكم ..!!

وقد يبرر الوالدان هذه المفاضلة .. بأنّ هذا ولد وتلك بنت، وهذا جهل حاربه القرآن منذ 14 قرن {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} فلا تقولي أختاه أعطَي قطعة اللحم الكبيرةً للولد لأنـــه ولد. .بأي حق؟..وقد يبررونها بأن الولد مشاغب وكثير الحركة أو قليل الحظ من الذكاء والجمال ..وكلّ هذا هراء.. فما ذنبه هو إذا خلقه الله هكذا.. بل بالعكس مثل هذه المفاضلة تقتل مواهب الطفل وتجعله منطويا على ذاته كارها لمجتمعه الصغير والكبير، وتولّد لديه عقدا نفسية، ومركبات نقص تكبر معه ولا تفارقه، مهما كبر سنا أو مقاما.. وإني لأرى أكثر المشاكل الزوجية والعائلية منبتها من هذه المفاضلات في الصغر.

وأنا أهمس في آذان الآباء والأمهات لأقول: إذا أردتم أن يشيع الحب بين أولادكم ويكونون نعم الإخوة ونعم السند لبعضهم، ساووا بينهم في الحب (وأقصد في مظاهره خاصة) واعدلوا بينهم في الأعطيات .. أناشدكم بالله جلّ في علاه .. لا تغرسوا أشواك الحقد وغصص الغيرة في حلوق أبنائكم ..

أ . صباح غموشي

(*) إلى كل زوجة حائرة
العصافير لا تغرد في الربيع فقط[2]

إذا فلتعلمي أن حياة الأجداد لم تكن مثالية كما تتوهمين، بل هناك في عصرنا فرص التألق النفسي والروحي متوفرة بشكل أفضل والحمد لله، لكن الفرق بيننا وبين أسلافنا، هو في القدرة على التأقلم والصبر، لنضرب مثالا :إذا عرضنا حبة بيض للحرارة ووضعناها في ماء للغليان فإنها ستتحول من شكلها الرخو إلى حبة بيض مسلوقة وصلبة، ولو وضعنا قطعة زبدة على النار ذابت، فالحرارة هي الحرارة، لكن تكوين المادتين مختلف فكذلك الإنسان هناك من تزده الظروف الصعبة صلابة وقدرة على المقاومة ومن ثم التأقلم، وهناك من تدمره نفس الظروف لعدم تحمله.

لذلك عليك أيتها الزوجة أن تنمي قدرتك على التحمل والصبر والاحتساب أثناء مرورك بكل مراحل حياتك، ابتسمي حتى في أشد المواقف، استقبليها بالصبر، وإذا عودت نفسك على الصبر فسوف تجابهين ظروفك كلها بالرضا، وتعلمي درسا من العصافير، فمن قال إن العصافير تغرد فقط في الربيع؟ إنها تغرد في كل الفصول، حتى والمطر ينزل نسمعها تغرد هنا وهناك.

لم يثبط سعيها وراء الرزق، وأداء إنشادها الحلو الممتع أيام إشراق أنوار الربيع فقط، فهي سعيدة في كل أيام السنة، راضية بما تستقبله من ظروف، متوكلة على ربها رغم ضعف بنيتها، ألست أفضل منها؟ اصنعي من الليمونة الحامضة مشروبا حلوا، تمتعي بكل لحظة من حياتك، لوني الساعات القاتمة بالألوان الزاهية، ألم تلاحظي أن الله تعالى جعل لنا في الطبيعة دروسا رائعة وعظيمة، ومن بين الدروس التي استوقفتني درسان غاية في الإبداع، فسبحان الله، الدرس الأول: هو أن كل الزهور أو النباتات تزهر أينما كانت سواء كانت في حافة الطريق أو فوق كومة النفايات، فسبحان الله هي تشرق وتزهر رسالتها حيثما كانت، لا تشترط مكانا معينا حتى تكون جميلة ورائعة، بل هي التي تحول ما حولها بجمالها جميلا، ألا يحق لنا أن نكون مثلها نلون ما حولنا بالجمال والسعادة، أليس لديك إمكانية ذلك؟ فتشي فسوف تجدين بذور الجمال داخل نفسك، اكتشفيها ، اسقيها واعتني بها ودعيها تزهر، في كل وقت قاومي كل ما يعيقك على ذلك.

الدرس الثاني: هناك أزهار متنقلة وطائرة بألوان جميلة مختلفة تبهر أعظم الفنانين، لوحات فنية طائرة ألم تلاحظيها؟ إنها الفراشات سبحان الذي جعل الجمال يحلق بجناحين، تعلمي من الفراشات إنها تعرض الجمال وهي تطير، اعرضي جمالك وارسمي بسمتك الجميلة على النفوس التي تحيط بك (وأنا هنا لا أقصد عرض مفاتنك وتبرجك) بكلمة طيبة جميلة وبسمة حنونة، وإشارة أنيقة، كوني رائعة وانشري الروعة بكل ما يحيط بك {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} الإسراء: 70.

فكل ما عند المخلوقات من جمال ومواهب، عند الإنسان أفضل منه، لكن نتعلم من هذه المخلوقات ما يجعلنا نكتشف هذه المزايا التي جعلها الله مكنوزة في ذواتنا، لنستخرجها ونوظفها، كما تعلمنا عملية الحفت من غراب بفضل الله تعالى، إذا استطعت أن تتكيفي مع التغيرات الداخلية، ستستطيعين التكيف مع الظروف الخارجية بشكل جيد إن شاء الله عز وجل، وهذا يكون بالتدرج طبعا، ومن ثم ستكونين سندا قويا لزوجك، وسيتعلم منك النجاح والتأقلم، وكذلك أولادك.

(*) كريمة عمراوي

تقديرا للعلماء اخترنا لكم هذه المقتطفات

ان بادرة تكريم العلماء التي دأبَ عليها معهد المناهج منذ أعوام هي خدمة يقدّمها للصادقين من أهل العلم اعترافا منه بقدرهم وفضلهم، وجهدهم في العلم وتفانيهم فيه؛ فإن كانت فضائل العلماء كثيرة، فإن أعظمها أنهم لم يكتموا علومهم؛ بل أذاعوها ونشروها، فقيّض لهم الله تعالى من يعرف لهم قدرهم ويكرمهم؛ ولذلك قال سلفنا الصالح: «من خدم المحابر خدمته المنابر».

تأتي الطبعة الخامسة هذه السنة، لتكرم أحد علماء الجزائر، وابنا من أبنائها الذين شرفوها وطنيا ودوليا، ورفعوا اسمها عاليا بالعلم والجدية، والإبداع، إنه العالم الشاب:

عالِم الرياضيات
أ. د. محمد بولنوار زيان

«إنَّ عِزَّ الوطن يصنعه أبناء الوطن بمبادراتهم، وإبداعاتهم، وسواعدهم، وأموالهم، وصدق عواطفهم... وإنَّ وطننا الجزائر - اليوم - أحوج من أيِّ بلد آخر إلى صدق أبنائه في بنائه، وإلى تفانيهم في خدمته، ذلك أنَّه ذاق من الجفاء الأمرَّين، وقاسى من الجفوة العَلقمين.»من رحم هذه المشاعر الصادقة وُلد مشروع «وسام العالم الجزائري»، ليكون مساهمة حضارية في إعلاء راية العلم، ورد الاعتبار لمكانة العلماء، وتحسيسا بدورهم الريادي في النهوض بأممهم، والسمو بها إلى آفاق التمكن والتمكين.

عن موقع فيسبوكوس

معالجات إسلامية

البكاءُ عند تلاوةِ القرآن الكريم

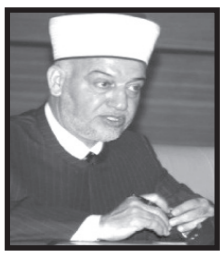

بقلم الشيخ الدكتور/يوسف جمعة سلامة*

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود- رضي الله عنه- قَالَ: (قَالَ لي النَّبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذه الآيَة {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا} قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْه، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ((1).

هذا الحديث حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك.

ذكر الإمام ابن حجر في كتابه فتح الباري: (قال النووي: البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين. قال الله تعالى {وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ} {خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} والأحاديث فيه كثيرة. قال الغزالي: يستحب البكاء مع القراءة وعندها. وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ثم ينظر تقصيره في ذلك. فإن لم يحضره حزن فليبك على فقد ذلك وأنه من أعظم المصائب)(2).

ومن المعلوم أن للقرآن الكريم منزلة قدسية رفيعة، وفضائل جليلة مهيبة، منشؤها أنه كلام الحق سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو العاصم من الضلال لمن تمسك به واعتصم بحبله المتين، فهو الكتاب الذي ربط بين جميع المسلمين، وكان دستورهم في شئون دينهم ودنياهم، والروح الذي أحيا أموات أفئدتهم، وأزال الغشاوة عن قلوبهم ، والنور الذي أضاء لهم الطريق وسلكوا به سبيل الهدى والرشاد .

لقد أرشدنا ديننا الإسلامي إلى ضرورة التدبر والخشوع عند تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه، كما في قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}(3)، قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية: (وفي الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر) (4)، ولذلك يقول ابن القيم - رحمه الله-: (ولهذا أنزل الله القرآن لِيُتَدَبَّر وَيُتَفَكَّر فيه، وَيُعْمَل به؛ لا لمجرد التلاوة مع الإعراض عنه) (5).

وعند تدبرنا لكتاب الله الكريم فإننا نجد آيات كثيرة تتحدث عن صفات المؤمنين الصادقين عند تلاوتهم للقرآن الكريم منها قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً* قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا*وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً* وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}(6)، وقوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}(7)، وقوله تعالى: {اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللّهِ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}(8).

بكاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

يتضح من الحديث السابق الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- تأثر وخشوع الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى ذرفت عيناه الشريفة، وقد ذكر الإمام ابن حجر صاحب كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (قال ابن بطال- رحمه الله-: «إنما بكى - صلى الله عليه وسلم - عند تلاوته هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمرٌ يحق له طول البكاء». وقال ابن حجر - رحمه الله-: «والذي يظهر أنه بكى رحمةً لأمته، لأنه علم أنه لا بُدَّ أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يُفضي إلى تعذيبهم») (9).

وذكر الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن: (وروى الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال : قال أبو بكر - رضي الله عنه-: يا رسول الله، قد شِبْتَ!. قال: «شيبتني هود، والواقعة ، والمرسلات، وَعَمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرت» ، وقد قيل: إن الذي شَيَّبَ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - من سورة «هود» قوله: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ(10).

بكاء أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –

كان أبو بكر - رضي الله عنه- رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، كما ذكر ذلك الإمام البخاري في صحيحه في قصة حماية ابن الدغنة لأبي بكر - رضي الله عنه- حيث روت ذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، قالت: (...فلبثَ أبو بكر بذلك يعبدُ ربَّه في داره ولا يَسْتَعْلِنُ بصلاتِه ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابْتَنَى مسجدًا بفناءِ داره وكان يُصَلِّي فيه ويقرأ القرآنَ، فَيَتَقَذفُ عليه نساءُ المشركينَ وأبْنَاؤُهم وَهُمْ يَعْجَبُونَ منهُ وَيَنْظُرُونَ إليه، وكَانَ أبو بكر رجلاً بَكَّاءً لا يملك عينَيهِ إذا قَرَأَ القُرْآنَ، وأفزَعَ ذلك أَشْرَافَ قُرَيش من المُشْرِكينَ...) (11)، وجاء في كتاب مختصر تفسير ابن كثير: (ورى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما- أنه قال: لما نزلت {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا} وأبو بكر الصديق- رضي الله عنه- قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما يُبكيك يا أبا بكر»؟ قال: يبكيني هذه السورة) (12).

بكاء عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

ذكرت كتب السيرة والتاريخ أنَّ آيات من القرآن الكريم كانت سبباً في إسلام سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -وهي {طه* مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (13)، كما أن سيدنا عمر- رضي الله عنه-سمع قارئًا يقرأ أول آيات سورة الطور حتى وصل القارئ إلى قوله تعالى: {... إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ}(14)، فَخَرَّ مغشيا عليه أياماً، ولا أحد يعرف مرض أمير المؤمنين، كما رُوِيَ عن عبد الله بن شداد قال: (سمعتُ عمر يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف، فسمعتُ نشيجه وإني لفي آخر الصفوف، وهو يقرأ {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ}) (15)، كما رُوِيَ عن الحسن قَالَ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمُرُّ بالآيَةِ فِي وِرْدِهِ، فَتَخْنُقُهُ الْعَبْرَةُ فَيَبْكِي حَتَّى يَسْقُطَ، ثُمَّ يَلْزَمَ بَيْتَهُ حَتَّى يُعَادَ، يَحْسِبُونَهُ مَرِيضًا)(16).

ومن المعلوم أن القرآن الكريم كان سبباً في كسب موقف النجاشي، عندما أرسل أهل مكة وفدا برئاسة عمرو بن العاص إلي الحبشة، لتأليب النجاشي -ملك الحبشة- على المسلمين المهاجرين من مكة المكرمة إلي الحبشة، فقرأ جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه- على النجاشي قول الله تعالي (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ..) (17) الآيات ، وبذلك استطاع جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - إفشال مهمة عمرو بن العاص، وبقي النجاشي يعامل المسلمين معاملة حسنة.

هذا هو القرآن الكريم، دستورنا الخالد، ومصدر عزتنا وكرامتنا، علينا أن نقرأه، ونتدبر معانيه، ونعمل بأحكامه، وأن نُعَلِّمه لأبنائنا وفلذات أكبادنا، حتى نكون من السعداء في الدنيا، والفائزين في الآخرة إن شاء الله.

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، ربنا وارفع الإصْرَ عَنْ أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -، واسلك بهم صراطك المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، آمين ...آمين يا رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش :

-1 أخرجه البخاري.
-2 فتح الباري بشرح صحيح البخاري 8/717
-3 سورة ص الآية(29)
-4 فتح القدير4/533
-5مفتاح دار السعادةص215
-6 (109-106) سورة الإسراء
-7 سورة مريم الآية(58)
-8 سورة الزمر الآية(23)
-9 فتح الباري 8/718
-10الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 9/1-2
-11 أخرجه البخاري
-12 مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 3/667
-13 سورة طه الآيتان (2-1)
-14 سورة الطور الآيتان (8-7)
-15 تاريخ عمر بن الخطاب - لابن الجوزي ص192
-16 أخرجه ابن أبي شيبه
-17 سورة مريم الآية (28)

* خطيب المسجد الأقصى المبارك
وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق
www.yousefsalama.com

ما قل ودل

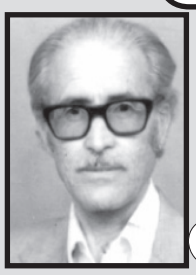

نور بعد ظلام

الأستاذ: محمد الصالح الصديق

امتازت الفترة التي سبقت ظهور محمد، صلى الله عليه وسلم، بأن العالم جميعه قد غشيته ظلمة معتمة من الشرك، والجهل، والظلم، والرذيلة، والبغي، فإذا كان هناك في مختلف عصور التاريخ زمن استدعى بعث رسول، فقد كان ذلك الوقت، ولا غرو فقد جرت سنة الله الكونية أن يأتي بالنور بعد الظلام، وبالغيث بعد الجدب والجفاف، كما جرت سنته تعالى أيضا أن يبعث رسولا متى بلغ الانحطاط البشري غايته وذلك رحمة بعباده، ورأفة بخلقه.

بعث الله تعالى محمدا شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه كتابا: {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (المائدة: 16).

فأنقذ العالم من الانحطاط المهول الذي يتخبط فيه، ومن المصير المروع الفاجع الذي يحث خطاه إليه، وأخذ بيده على الطريق القويم، الذي سيفضي به إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، ورسم معالم الحياة الكريمة، وبين حقائق الأشياء وحكمة الله تعالى في خلق الإنس والجن: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}(الذاريات: 56/58).

{وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} (الذاريات:21).{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}(الطارق: 5/7).

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}(الروم:20).

{وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ مَا يَشَاءُ} (النور:45).

إلى غير ذلك من الآيات التي توجه الإنسان إلى ما في فطرته وما في الكون من عجائب الخلق، وبدائع الحكمة، التي تدعوه إلى النظر والتفكير في مصدر الوجود سبحانه وتعالى.

وكانت دعوة القرآن ورسالة الرسول، صلى عليه وسلم، في مجملها:

- دعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته.
- دعوة إلى الأخوة الإنسانية العامة، بلا تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو اللغة والنسب.
-دعوة لإقدار الحق والعدل وإشاعة الخير والبر.
- دعوة للنظر في الكون والانتفاع بما فيه، والإقرار بموجده.
-دعوة للسلم في أبرّ صورة، وأكرم سبيل.
- دعوة للحب والإيثار والشفقة والرحمة ومكارم الأخلاق!
- دعوة لتهذيب الفرد وتكافل الجماعة.
- دعوة لاتساق الإنسان مع الكون بإرادته وعمله، مع اتساقه بفطرته وطبيعته وآيات الله في الكون!

هذا هو الإسلام وهذا ما قرره القرآن الكريم وبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم! والسنة النبوية ما هي في الواقع إلا تبيان للقرآن وتوضيح له قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(النحل:44).

غير أن الناس لم يكونوا في الانتفاع بالقرآن الكريم وهدايته في درجة واحدة بل في درجات ومستويات.

من أقوال الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي

كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل.. رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة، وأما ما يأخذه بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الليبية(2)

أ.د / مولود عويمر *

تطمح هذه الورقة إلى الإجابة عن مجموعة إشكاليات أساسية لفهم العلاقات بين الجزائر وليبيا بين 1911 و1951. وهي: ما هو موقف الجزائريين من الاحتلال الإيطالي لليبيا؟ ما هي أصداء مقاومة عمر المختار في الجزائر؟ ما هي صلة الشيخ سليمان الباروني بالحركة الإصلاحية الجزائرية؟ كيف تناولت الصحافة الإصلاحية الجزائرية القضية الليبية؟ ما هي أهم الأقلام الليبية التي ساهمت في الصحافة الإصلاحية الجزائرية؟ كيف استقبلت جمعية العلماء الجزائريين استقلال ليبيا؟

سليمان الباروني وعلماء الجزائر

لقد زار سليمان الباروني (1870-1940) الجزائر ثلاث مرات. كانت الزيارة الأولى في عام 1896 للدراسة على يد الشيخ محمد يوسف أطفيش (1818-1914) في يني يزقن بضواحي غرداية لمدة ثلاث سنوات. وعاد إليها في المرة الثانية في عام 1914 وذلك لزيارة ضريح شيخه أطفيش الذي توفي في تلك الفترة.

ونقل عمر بن قدور الجزائري معلومات عنها في جريدته الفاروق. ولقي حسب هذا التقرير استقبالا كبيرا من الأعيان والسكان. وذلك ليس غريبا على أهل ميزاب الذين عرفوا فضله ودعمه لهذه المنطقة والتعريف بتراثها الذي أصدر جواهره في المطبعة البارونية بالقاهرة.

أما الزيارة الثالثة فكانت في سنة 1925. وهي رحلة علمية زار مدنا عديدة من القطر الجزائري شرقا وغربا وكتب عنها نثرا وشعرا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل هذه الزيارات لا تحمل رسالة سياسية التي تتمثل في الحصول على الدعم الفرنسي ضد الاحتلال الإيطالي لليبيا؟

إنني أميل إلى ذلك لأن الباروني لم يتوقف عن مراسلة الحكومة الفرنسية لتحقيق ذلك الغرض. وهو حلم مثالي لم يتجسد على أرض الواقع رغم التنافس الشديد القائم بين فرنسا وإيطاليا في شمال إفريقيا.

وبخصوص نشاطه السياسي، فقد خدم الشيخ الباروني القضية الجزائرية ودافع عنها في جريدته الأسد الإسلامي التي أصدرها بالقاهرة سنة 1907. ذلك أنه تعرض للمسألة الجزائرية منذ العدد الأول، حيث دحض الفكرة السائدة في المشرق العربي التي تتمثل في التخلف الفكري والأدبي في الجزائر مقارنة بتونس. فالجزائر تزخر بالعلماء والأدباء

وكان الشيخ الباروني محل اهتمام العلماء الجزائريين يتابعون نشاطاته المختلفة وينقلون أخباره ويناقشون آراءه. فمنهم من دافع عنه في سجالاته مع شخصيات إسلامية مرموقة مثل الأمير شكيب أرسلان كالشيخ أبو اليقضان (1973-1888)، ومنهم من وقف إلى جانب أرسلان مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي ساند في فكرته القائلة بأن الوحدة السياسية العربية تكون فقط بين الدول المستقلة التي تتمتع بالحرية.

واعتبر سليمان الباروني ذلك الموقف تهميشا للمغرب العربي فتبرأ منه. وقال ابن باديس إنه ليس من المنطق أو الممكن أن تنضم إلى التكتل العربي دول مستضعفة ومستعمرة. ولكن «الوحدة القومية والأدبية متحققة بينها لا محالة.»

وكان الباروني يتابع بدوره أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويقرأ باستمرار صحافتها. وليس أدل على ذلك رسالته التي وجهها إلى أبي اليقضان وعبر عن رأيه في السجال الطويل الذي وقع في جريدة البصائر بين العلماء الجزائريين حول مسألة الشعوبية.

القضية الليبية في صحافة العلماء الجزائريين

القضية الليبية كانت دائما حاضرة في جريدة البصائر لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومجلة الشهاب لصاحبها الشيخ ابن باديس. ففي كل أسبوع، يكتب الأستاذ أحمد توفيق المدني (1899-1983) في ركنه: «في الشمال الإفريقي»عن أوضاع طرابلس الغرب. وهي بمثابة أسبوعيات القضية الليبية. وهذا ليس غريبا على أحمد توفيق المدني الذي تأثر كثيرا بالاحتلال الإيطالي لليبيا، واعتبرها بالكارثة العظمى».

وقام الأستاذ المدني بنشاط كثيف في الجزائر وتونس من أجل مساندة إخوانه الليبيين في مقاومتهم للاحتلال. كما يقدم الشيخ باعزيز بن عمر (1906-1977) في كل شهر أهم الأخبار عن ليبيا من خلال ركنه الشهري: «في الشهر السياسي». وهي تمثل آراء ومواقف وردت في الصحف الفرنسية والعربية.

وألخص هنا هذه المقالات التي تمثل آراء ومواقف جمعية العلماء في النقاط التالية:

- التنديد بسياسة الاستعمار الإيطالي والانتداب البريطاني في ليبيا
- الإشادة بالمقاومة العسكرية والسياسية الليبية والدعوة إلى مساندتها والتضامن معها بكل الوسائل
- اعتبار جهاد الليبيين حلقة في سلسلة الجهاد من أجل التحرر وإعادة المجد للعرب والمسلمين
- التعريف بتاريخ وأعلام ليبيا لتقوية أواصر الأخوة بين الجزائريين والليبيين ومن أهم هذه الشخصيات: عمر المختار وسليمان الباروني وبشير السعداوي، محمد بك فكيني..الخ.
- فتح جرائد جمعية العلماء لقادة الرأي والسياسة الليبيين للتعبير عن قضاياهم الوطنية ونقد السياسة الايطالية ونشر بياناتهم المختلفة.
- توجيه العلماء الجزائريين إخوانهم الليبيين نحو اليقظة الشاملة، والوفاق الوطني ونبذ الصراعات السياسية لبناء ليبيا قوية تكون مضرب المثل لإخوانهم العرب والمسلمين.

علي الفقيه حسن صوت ليبيا في الجزائر

يعتبر علي الفقيه حسن (1985-1898) رئيس الكتلة الوطنية الحرة من أبرز الشخصيات الليبية التي ساهمت في جريدة البصائر إذ نشر فيها أربعة مقالات في 1947 و1950.

تضمنت 3 مقالات دفاعا صريحا عن برنامج حزبه الذي تأسس في 30 ماي 1946، وهو حزب يقوم على أربعة مبادئ، وهي:

- استقلال ليبيا التام غير المشروط
- وحدة أراضيها دون تجزئة
- الانضمام إلى الجامعة العربية
- أن يكون نظام الحكم بعد الاستقلال جمهوريا

وندد علي الفقيه حسن بقوة -في مقال عنوانه: «ليبيا والنظام الجمهوري»- بمحاولات المؤتمر الوطني العام بطرابلس لفرض النظام الملكي في ليبيا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا نشرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتيار الجمهوري في الحركة الوطنية الليبية ولم تنشر لغيره؟ هل هذا يعني أن العلماء الجزائريين هم مع النظام الجمهوري في ليبيا. أم أن التيارات الأخرى المنادية بالنظام الملكي لم ترغب في ترويج أفكارها والدفاع عنها في الصحافة الإصلاحية الجزائرية؟

إننا وجدنا تباينا في هذه القضية. فمحرر ركن «في الشمال الإفريقي» وقف إلى جانب المنادين بالنظام الجمهوري معللا رأيه بالحجة التالية: « ونحن نرحب بكل نظام يحقق للشعب الليبي وحدته واستقلاله. وإن كنا نشك كثيرا في تحقيق آماله الكبار عن طريق الملكية عصرية كانت أو قديمة. ذلك أن الشرق الإسلامي ما عاقه عن بلوغ أهداف شعوبه في عهد نهضته الأخيرة إلا نظام الملكية القائم في كثير من أطرافه وأجزائه.»

بينما وجدنا من العلماء الجزائريين من لا يعارض الملكية في ليبيا كما يبنه مقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965) عن الوحدة الوطنية الليبية، والذي سنتطرق له لاحقا.

أما المقال الرابع، فقد خصصه لصلة الليبيين بجريدة البصائر والعلماء الجزائريين: «وفي طليعة الرجال الذين يولون قضيتنا اهتماما كبيرا، ساسة الجزائر وعظماؤها وزعماؤها وبالأخص جمعية العلماء التي تأسست على قواعد شرعية تهدف جميعها إلى توجيه الرأي العام الجزائري للتمسك بأهداف الدين الإسلامي الحنيف».

وبعد أن تمنى أن يكون العلماء هم القاطرة التي تسير بالشعب الجزائري نحو الاستقلال، يمدح جريدة البصائر التي أصبحت في نظره «ميدانا يتبارى فيه كبار الكتاب ورجال السياسة دفاعا عن الشعب الليبي وانتصارا للعدالة وصدا لمطامع المستعمرين والمستعبدين».

يتحدث علي الفقيه بعد ذلك عن دور هذه الجريدة في خدمة قضيتهم، والتعريف بها. فيقول في هذا السياق: «فنحن الليبيين إزاء ما تسديه هذه البصائر الإسلامية من أياد بيضاء لقضية بلادنا خاصة وللقضايا العربية عامة، نرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأمة الجزائرية الكريمة على ما تقوم به من دفاع تلك الصحيفة الطاهرة من أدران الاستعمار، القوية بالإيمان وصلابة الإرادة وشدة العزيمة والاندفاع إلى الأمام لحماية مصالح العرب والمسلمين.»

تلك هي العلاقة بين البصائر والليبيين. ولكننا نجهل العلاقة بين الصحافة الإصلاحية الليبية مع الإصلاحيين الجزائريين. وهو موضوع في غاية الأهمية وجدير بالدراسة والبحث للكشف عن صور مشرقة من التواصل بين النخبة الجزائرية والليبية في العصر الحديث.

محاضرة
قدمها الكاتب في المركز الليبي
للمحفوظات والدراسات التاريخية
بطرابلس يوم 03 /04 / 2013

نظمـــه المجلس الإسلامـــي الأعـــلى

ملتقى الجاليات الجزائرية في الخارج وقضاياها الدينية والاجتماعية والثقافية وترسيخ التعايش والوسطية

على مدار ثلاثة أيام، وتحت الرعاية السامية «لفخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، نظم المجلس الإسلامي الأعلى ملتقى دوليا تحت عنوان: (الجاليات الجزائرية في الخارج وقضاياها الدينية والاجتماعية والثقافية»، أيام 25.26.و27 مارس 2013 بفندق الشيراتون بالجزائر العاصمة، وذلك بمشاركة نخبة من العلماء والأساتذة والباحثين من الجزائر، تونس والبرتغال وفرنسا وإيطاليا.

وقد أعرب السيد ساحلي في افتتاح أشغال الملتقى عن سعادته بتخصيص المجلس الاسلامي الأعلى موضوع الملتقى للجاليات الجزائرية في الخارج وتسليط الضوء على قضاياها الدينية والاجتماعية والثقافية، متطرقا لانشغالات الجزائريين الموزعين عبر أنحاء العالم، حسب الأوساط الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي يعيشونها في مواطن إقامتهم، حيث أكد على الارتباط الوثيق بين الجالية الجزائرية ووطنها الأم، كما استعرض الدكتور بلقاسم ساحلي تاريخ الهجرة، مذكرا بالموجات الأولى لمهاجرينا التي ظهرت مع بداية الحقبة الاستعمارية وأنواع الهجرة التي تطورت عبر الحقب الزمنية من هجرة فردية من أجل العمل إلى هجرة عائلية، ثم نوعية، حيث أصبحت تضم الكفاءات الوطنية من جامعيين ومهندسين وأطباء، وتطرق كاتب الدولة إلى البعد الديني للحركة الجمعوية لأبناء جاليتنا، وكذا العنصر الاقتصادي والثقافي، كما أكد كاتب الدولة أن اهتمام السلطات العمومية بجاليتنا اهتمام استراتيجي يتماشى مع توجيهات رئيس الجمهورية الذي يولي جاليتنا رعاية خاصة.

أما الدكتور بوعمران الشيخ، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى، فألقى كلمة مقتضبة رحب فيها بالضيوف والمشاركين في الملتقى، لتبدأ الأشغال بمحاضرة ألقاها الدكتور قاسي عز الدين الأستاذ بالمدرسة العليا للفيزياء بليون (فرنسا) تحت عنوان «مستقبل الجالية الاسلامية في الغرب على ضوء المتغيرات الدولية» استعرض فيها التركيبات الاجتماعية وتطور الجالية من جالية إلى أقلية، متطرقا إلى المؤسسات كالمساجد والمراكز الاسلامية وبرامج التعليم والتربية والتعليم الديني والتواصل الاعلامي، بالإضافة إلى دور الاعلام الغربي في التشويه والتشويش.

كما ألقيت محاضرات من طرف كل من الدكتور محمد جادي أستاذ التاريخ بمدينة نيس الفرنسية، والأستاذ عيسى بونقاب رئيس دار الثقافة الاسلامية بميلانو (إيطاليا) والدكتور إبراهيم بن يوسف من مونريال بكندا والدكتورة مفيدة بلهامل من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، والأستاذ الطيب ولد لعروسي مدير مكتبة معهد العالم الاسلامي، وقد تم تخصيص الفترة المسائية للورشات العلمية.

كما عرف اليوم الثاني من أشغال الملتقى الدولي «الجاليات الجزائرية في الخارج وقضاياها الدينية والاجتماعية والثقافية» في جلسته الصباحية إلقاء عدة محاضرات، تناولت إنشاء مسجد باريس وهندسته المعمارية ودوره في التعريف بالثقافة العربية الاسلامية وفي تعليم اللغة العربية وسوسيولوجية الهجرة الجزائرية في الماضي والحاضر وواقع الجالية الجزائرية ببلاد الشام والمشاكل الثقافية للجزائريين في المهجر.

أين استعرض الدكتور علواني صالح، من تونس الشقيقة، في مداخلته وبالصور تاريخ بناء مسجد باريس من حيث الفكرة التي يراها قديمة وبدأ الانجاز في سنة 1922 بعد الحرب العالمية الأولى وانتهت الأشغال به سنة 1926 وقد اعتمدت في بنائه هندسة معمارية أصيلة، التي ضمت الزخرفة والخط، كما تطرق المحاضر إلى من حضروا تدشينه كسلطان المغرب، بالإضافة إلى المنبر الذي أهداه له باي تونس وهو أول منبر، ثم منبر أهداه الملك فؤاد وقد تربع المسجد كبناء معماري على 3000 متر مربع والباقي خصص للحدائق وهو يشبه المعمار الأندلسي.

من جانبه، تطرق الأستاذ سعدي بزيان إلى تجربة الجزائر في تدريس اللغة العربية لأبنائها في المهجر والتي يراها بدأت مع تجربة الشيخ الفضيل الورتلاني بين 1936 - 1938حيث أسس 15 ناديا سميت بنوادي التهذيب.

كما تناول الدكتور هارتموت من جامعة ليبزيغ (ألمانيا) أوضاع المسلمين وقضاياهم السياسية والاقتصادية ليس في أوروبا وإنما من خلال اهتمام الدول العربية بقضاياهم ومن جملتها القضية الفلسطينية.

أما الدكتور سليمان عشراتي من جامعة وهران فقد استعرض في مداخلته تاريخ الهجرة ومراحلها، حيث رأى أن هناك عشرات الآلاف من الأسر التي استوطنت أوربا، وتحديدا فرنسا، قبل الاستقلال وحملت هذه الأسر معها روحها الإسلامية، حيث أصبح حضور الإسلام حقيقة في موقع الفعل وليس مجرد رد الفعل، حيث استطاع أن يحقق بعض المكاسب مثل اللحم الحلال وغيرها من المكاسب داخل المؤسسات الفرنسية، فقد ظهرت أجيال من أبناء المهاجرين تنتمي إلى فرنسا جغرافيا لكنها تسمي نفسها بأجيال الإسلام، وأصبح الجيل الذي ولد في بلد المهجر يؤكد أنه جيل مسلم فيقول: «أنا لست من هنا من الغرب، ولا من هناك من وطن الأباء»، وأصبحت هوية الانتماء التي يعبر عنها المهاجر هي الاسلام.

أما الأستاذ بن عيسى بونقاب فقد تناول في مداخلته دور الثقافة الإسلامية في إيطاليا والجالية الجزائرية التي دخلتها في تسعينيات القرن الماضي، مضيفا أن عدد الجزائريين في إيطاليا بلغ 26 ألفا يتوزعون على مدنها الكبرى وأن سن المهاجرين يتراوح ما بين 20 إلى 45 سنة ٪50 متزوجون. كما تطرق المتدخل إلى الجاليات العربية الأخرى كالتونسية والمصرية والمغربية مستعرضا وضع المسلمين في إيطاليا من حيث المساجد والمصليات. وفيما يخص التعليم، فقد أوضح المتحدث أن أول مدرسة لتعليم اللغة العربية أسست سنة 1979 وهي أول مدرسة في إيطاليا تعلم حوالي 200 طفل من بينهم 60 جزائريا والباقي من الدول الأخرى، والأساتذة كلهم من الجزائريين، كما تعرض المحاضر إلى الأوضاع الاقتصادية التي ينتج عنها عدم الاستقرار والتنقل للعمل.

في ذات الوقت، اتسمت محاضرة محمد الصغير بلعلام بالحديث عن الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام التي كانت هجرة إجبارية.

أما الصحفي سمير شعابنة فقد تناول في تدخله الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والاعلامية والمشاكل التي تعاني منها الأسرة في المهجر مثل مشكل زواج المرأة المسلمة من غير المسلم، ومشكلة الطلاق، والتمييز العنصري ومشكلات العنف والجريمة المنظمة حيث اغتيل 35 جزائريا في مرسيليا بسبب المخدرات وتصفية الحسابات وهي الجرائم التي استغلها اليمين المتطرف، للهجوم على المهاجرين بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة.

الدكتور إحسان قاسم الصالحي، من العراق، تطرق إلى مشاكل الاغتراب وحللها من الناحية النفسية من خلال شخصية بديع الزمان ورسائل النور التي ألفها وتفسيره للقرآن وهذه الشخصية التي لم تستقر في بيتها إلا تسع سنوات والباقي في السجون والمنافي حتى أنه عندما توفي أخرجوا جثته من القبر ولم يعرف له قبر بعدها.

كما أعطيت حصة من الجلسة الصباحية للتعقيب وكان من أهمها تعقيب المجاهد رابح مشحود أحد الدبلوماسيين الجزائريين بإيطاليا وأرجعها إلى الدكتور الألباني منتور حمدي شوكو وهو أستاذ في القانون فهو أول من أنشأ مدرسة اللغة العربية قرب روما سنة 1947 ومصلى ومقبرة إسلامية بمنية وكان يعلم الأطفال والإيطاليين اللغة العربية وترجم أربعين حديثا إلى الإيطالية، داعيا إلى تكوين الأئمة من المهاجرين أنفسهم لأنهم أقرب إلى واقعهم وأكثر علما واحتكاكا بالواقع.

من جهة أخرى اتسمت أشغال الملتقى في يومه الثالث والأخير، بإلقاء محاضرات تطرق خلالها المحاضرون إلى انشغالات الجالية الجزائرية المتنوعة وسط الظروف الاجتماعية الصعبة التي تعيشها في المهجر، كما ذكر بذلك الأستاذ سعيد رحماني في تدخله الذي دار حول الموروث الثقافي والديني للجاليات الجزائرية، حيث دعا إلى تجديد الخطاب الديني من أجل المحافظة على الهوية والتكيف مع نمط العيش في المجتمعات الغربية.

أما الأب كريستيان دولورم من مدينة «ليون الفرنسية» فتناول «إسلام التلاقي»، مستشهدا بحياته، حيث كفلته امرأة جزائرية مسلمة من مستغانم فكانت له نعم الأم، وأيضا تكفل هو بتربية طفلين جزائريين من عائلة جزائرية مسلمة معروفة.. كما تطرق الأب كريستيان إلى دور التصوف والقصائد الرائعة التي نظمها في ذلك الشاعر سيدي لخضر بن خلوف.

أما الأستاذ فارينها إنتونيوديا من «البرتغال» فقد عاد بالحاضرين إلى التعايش التاريخي بين المسلمين من شمال افريقيا والخليج العربي، حيث بدأ هذا التعايش منذ دخول الحضارة الاسلامية إلى الأندلس واستشهد على ذلك بوجود الزوايا والأضرحة والكلمات العربية التي ما يزال يتداولها البرتغاليون خصوصا في الزراعة والمياه والطب.

كما تناول المحاضرون تاريخ الهجرة إلى فرنسا خصوصا والغرب عموما سواء في عهد الاستعمار الفرنسي بعد اجتياحه للأرض الجزائرية ومصادرة أراضي الجزائريين ودفعهم للجوء إلى قمم الجبال والصحاري القاحلة أو الهجرة، ومن ثم تطورت موجات الاغتراب للعمل في المناجم وحفر الخنادق في الحربين العالميتين الأولى والثانية وإثر تجييش الجزائريين في الدفاع عن فرنسا، ثم تحولت الهجرات من عمالية إلى هجرات أسرية لتتطور فيما بعد وتصبح هجرات إطارات وأدمغة ثم يتحول الجزائريون إلى أقلية مقيمة بفرنسا، كما تناولت المداخلات حقوق المهاجرين والمقيمين في الدول الغربية من ناحية الحقوق التي تكفلها لهم المنظمات الحقوقية الدولية.

وعالج الدكتور محمد بوركاب من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة في مداخلته مشاكل الجالية الجزائرية في العالم الغربي التي تواجهها تحديات كثيرة منها الجانب الأسري كالزواج المختلط، حيث دلت الاحصائيات على أن حوالي خمسة آلاف جزائرية متزوجات بفرنسيين، كما أن الكثير من الجزائريين تزوجوا بفرنسيات ويهوديات وملحدات وما خلفه هذا الزواج من مآس نتيجة الاختلاط والتمزق الثقافي والذوبان والانسلاخ من الإسلام.

من جانبه، تطرق الدكتور مولود عويمر إلى الجاليات الاسلامية في أوروبا متسائلا إن كانت استفادت من تجارب الجاليات الأخرى التي سبقتها في المجتمعات الغربية ثم كيف يمكن أن تستفيد من الكفاءات المهاجرة من العالم الإسلامي ويتحول التراث الإسلامي الأوروبي إلى تراث أوروبي إسلامي، وكيف تستفيد الجاليات الاسلامية من الثقافات الأوروبية؟

وقد اختتم الملتقى بإصدار توصيات دعا فيها المشاركون إلى تنظيم ملتقى دولي سنوي يعالج قضايا الجالية الجزائرية ويعمل على ربط أبنائها بوطنهم الأم وبقيمه وعاداته وتقاليده من خلال تنظيم لقاءات ورحلات وإقامة مخيمات مؤطرة بمختلف مناطق الوطن.

كما دعا المشاركون إلى التواصل مع الجالية الجزائرية وإنشاء حصص تلفزيونية موجهة للجالية بالإضافة إلى التواصل مع الكفاءات العلمية في مختلف المجالات وإنشاء مؤسسة وطنية بالجزائر تعنى بالممتلكات الوقفية في المهجر كالمساجد والنشاطات التربوية والاجتماعية والعمل على تسهيل تنقل أبناء الجالية إلى الجزائر، وإشراك الجمعيات ومختلف الفاعلين في المهجر من غير تمييز، وتعميم تجربة المدرسة الدولية الجزائرية «مالك بن نبي» في مختلف مناطق الهجرة.

كما دعا المشاركون إلى إشاعة الخطاب الديني الداعي إلى الوسطية والتحاور مع الديانات الأخرى، وإلى التركيز على تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم لأبناء الجالية وإنشاء مراكز لهذا الغرض، حيث تتواجد الجالية الجزائرية.

متابعة: ليشاني عبد الكريم

تعزيـــــــة

يتقدم الأستاذ الدكتور **عبد الرزاق قسوم** رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أصالة عن نفسه ونيابة عن أعضاء المكتب الوطني للجمعية، وأسرة جريدة البصائر بأصدق التعازي وخالص المواساة إلى الأستاذ **كمال أبوسنة** نائب رئيس تحرير البصائر الذي رزئ في وفاة السيدة والدته.

ونسأل الله العلي القدير واسع المغفرة والرضوان وأعالي الجنان للفقيدة، ولكل أفراد عائلة أبو سنة وأقاربها ومعارفها الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تعزيـــــــة

شيعت يوم الإثنين بمدينة المغير ولاية الوادي، جنازة السيد **بلقاسم طلحة**، وهو من أعيان مدينة المغير.

وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم الشيخ **عبد الرزاق قسوم** إلى أخيه **الحاج محمد طلحة**، وإلى كل إخوته بصادق العزاء، داعين الله لهم بالصبر ، وللفقيد بالجنة.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تعزيـــــــة

تلقينا بقلوب مؤمنة وراضية بقضاء الله وقدره، نبأ وفاة حرم العالم الزيتوني الشيخ **الأزهري ثابت** من مدينة المغير ولاية الوادي، والشيخ الأزهري ثابت- زوج الفقيدة- من الزيتونيين الأوائل، من جيل الشيخ عبد الرحمن شيبان، والأستاذ عبد الحميد مهري- رحمهما الله- كما أنه من المجاهدين الذين أبلوا بلاء حسنا في سبيل الثورة التحريرية.

وبهذه المناسبة يعرب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ الدكتور عبد الرزاق قسوم عن عميق تأثره، وصادق عزائه، داعيا المولى سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيدة برحمته الواسعة، وأن يرزق أهلها الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

من أيام العرب

إنّ غَـــداً لنَاظِـــرِهِ قَـــرِيبُ

أي لمنتظره. يقال: نَظَرْتُه أي انتظرته. وأول من قال ذلك قُرَاد بن أَجْدَعَ. وذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليَحْمُوم. فأجراه على أثَر عَيْر. فذهب به الفرس في الأرض ولم يقدر عليه. وانفرد عن أصحابه.... وأخذته السماء. فطلب مَلْجأ يلجأ إليه. فدُفِع إلى بناء فإذا فيه رجل من طيء يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له. فقال لهما: هل من مَأْوَى. فقال حنظلة: نعم. فخرج إليه فأنزله. ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان. فقال لامرأته: أري رجلاً ذا هيئة وما أخْلَقَه أن يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة؟ قالت: عندي شيء من طَحين كنت ادّخرته فاذبح الشاةَ لأتخذ من الطحين مَلَّة. قال: فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه مَلَّة. وقام الطائيّ إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مَرَقة مَضيرة. وأطعمه من لحمها. وسقاه من لبنها. واحتال له شراباً فسقاه وجعل يُحَدثه بقية ليلته. فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه. ثم قال: يا أخا طيء اطلب ثَوَابك. أنا الملك النعمان. قال: أفعل إن شاء الله. ثم لحق الخيل فمضى نحو الحِيرة. ومكث الطائي بعد ذلك زماناً حتى أصابته نَكْبة وجَهْد وساءت حاله. فقالت له امرأته: لو أتيتَ الملك لأحسن إليك. فأقبلَ حتى انتهى إلى الحِيرَة فوافق يومَ بؤس النعمان. فإذا هو واقف في خَيْله في السلاح. فلما نظر إليه النعمان عرفه. وساءه مكانه. فوقف الطائيّ المنزولُ به بين يدي النعمان. فقال له: أنت الطائيّ المنزول به؟ قال: نعم. قال: أفلا جِئْتَ في غير هذا اليوم؟ قال: أَبَيْتَ اللعنَ! وما كان علمي بهذا اليوم؟ قال: والله لو سَنَحَ لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لم أجد بُدّا من قتله. فاطلب حاجَتَكَ من الدنيا وسَلْ ما بدا لك فإنك مقتول. قال: أَبَيْتَ اللعنَ! وما أصنع بالدنيا بعد نفسي. قال النعمان: إنه لا سبيل إليها. قال: فإن كان لا بدّ فأجِّلْني حتى أَلِمَّ بأهلي فأوصي إليهم وأهيئ حالهم ثم أنصرف إليك. قال النعمان: فأقم لي كَفيلاً بموافاتك. فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان. وكان يكنى أبا الحَوْفَزَان وكان صاحب الردافة. وهو واقف بجنب النعمان. فقال له:

يا شريكا يا ابن عمرو
هل مـــن المـــوت مَحَالة
يا أخا كل مُضَافٍ
يا أخـــا مَـــنْ لا أخا له
يا أخا النعمان فُكَّ الـــ
ـــيوم ضَيْفاً قد أتى له
طالما عالج كرب الـــ
ـــموت لا ينعـم باله

فأبى شريك أن يتكفل به. فوثب إليه رجل من كلب يقال له قُرَاد بن أَجْدَع. فقال للنعمان: أبيت اللَّعْن! هو عليّ. قال النعمان: أفعلت؟ قال: نعم. فضمّنه إياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة. فمضى الطائيّ إلى أهله. وجَعَلَ الأجَلَ حولا من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل. فلما حال عليه الحولُ وبقي من الأجل يوم قال النعمان لقُرَاد: ما أراك إلا هالكاً غداً. فقال قُرَاد:

فإن يَكُ صَدْرُ هذا اليوم وَلّى
فإنَّ غداً لناظره قَريبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجْله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّيْن فوقف بينهما. وأخرج معه قُرَادا. وأمر بقتله. فقال له وزراؤه: ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه. فتركه. وكان النعمان يشتهي أن يقتل قُرَادا ليُفْلَتَ الطائي من القتل. فلما كادت الشمس تَجِبُ وقُرَاد قائم مُجَرَّد في إزار على النِّطَع والسيافُ إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول:

أيا عَيْنُ بكي لي قُرَاد بن أجْدَعَا
رَهينا لقَتْلٍ لا رهيـــنا مُوَدّعـــا
أتته المنايا بَغْتةً دون قومه
فأمسى أسيراً حاضر البَيْتِ أضْرَعَا

فبينا هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد. وقد أمر النعمان بقتل قراد. فقيل له: ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو. فكفَّ حتى انتهى إليهم الرجل فإذا هو الطائي. فلما نظر إليه النعمان شَقَّ عليه مجيئه. فقال له: ما حملك على الرجوع بعدَ إفلاتك من القتل؟ قال: الوفاء. قال: وما دَعَاك إلى الوفاء؟ قال: دِيني. قال النعمان: فاعْرِضْهَا عليّ. فعرضها عليه. فتنصر النعمان وأهل الحِيرة أجمعون. وكان قبل ذلك على دين العرب. فترك القتلَ منذ ذلك اليوم. وأبطل تلك السُّنَّة وأمر بهدم الغَرِيّيْن. وعفا عن قُرَاد والطائي. وقال: والله ما أدري أيهما أوفى وأكرم. أهذا الذي نجا من القتل فعاد أم هذا الذي ضمنه؟ والله لا أكون ألأَمَ الثلاثة. فأنشد الطائيّ يقول:

ما كُنْتُ أُخْلِفُ ظنه بعد الذي
أَسْدَى إليّ من الفَعَال الخالي
ولقد دَعَتْنِي للخلاف ضَلالَتي
فأَبَيْتُ غيـــرَ تمَجُّدِي وفعالي
إني امرؤ منِّي الوفاءُ سَجِيةٌ
وجـــزاء كـــل مكـــارم بَذَّالِ

وقال أيضاً يمدح قُرَادا:

ألا إنما يسمو إلى المجد والعُلا
مَخاريقُ أمثال القُرَاد بْنِ أجْدَعَا
مخاريقُ أمثَال القراد وأهله
فإنهمُ الأخيار من رَهْطِ تبعا

رباعيات البصائر

شعر: الأستاذ رشيد أوزاني
ra_ouzani@yahoo.fr

مَليك .. وَسيم

هَـــذا المَلـيكُ رائِـعٌ مبارَكٌ
هـدِيّـة ٌ غالِيَـة ٌمِـنَ السّـماءْ
★★★
فـوالِـداهُ سَعِـدا واسْتبْشَـرا
للـــهِ مُخلصَيْـن ردَّدا الـثّـناءْ
★★★
فَـــذا أبٌ فـــؤادُهُ مُـنْـشَـــرِحٌ
والأمُّ للواهِبِ تـكْـثِرُ الدُّعَاءْ
★★★
احْفَظْ إلهي يَـا وَدودُ ذُخْرَنا
وَشَـــحْ حـياتَهُ بيُمـنٍ وَهناءْ

ألفـــاظ الأضـــداد

هي ألفاظ تعني في اصطلاح اللغويين العرب الكلمات التي يدل كل منها على معنيين متباينين، أو متعاكسين متناقضين، مثل لفظة (جون) التي تدل على الأسود والأبيض، و(المولى) التي تطلق على العبد والسيد، و(السليم) التي تطلق على الصحيح وعلى الملدوغ و(البصير) التي تطلق على المبصر وعلى الأعمى، و(الحميم) التي تطلق على الحار وعلى البارد، و(الجلل) التي تطلق على الكبير والصغير، و(الزوج) التي تطلق على الرجل وعلى المرأة، فيقال على سبيل المثال: «الرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل ...»؛ «فهذه الكلمات وأمثالها تجري، كما ينص السيوطي: «مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة لما تنطوي عليه من تعدد أو اختلاف الدلالة». وقد جمع محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الأضداد ثلاثمائة ضد. كما يتبين من فهرس الألفاظ الأضداد، معظمها تجاوز الدلالة على معنيين متعاكسين أو متناقضين إلى الدلالة على عدد من المعاني ذكرها المؤلف. والضد كما تحدث عنه بعض اللغويين العرب لا يعني النقيض أو العكس بصفة مطلقة، فهناك أصناف عديدة من الأضداد، مع أنها لا تفيد معنى التناقض أو العكس، وإنما يدل كل لفظ منها على معنيين متباينين يربط بينهما رابط معين من قريب أو بعيد. كما يحصل لكثير من باقي الألفاظ المشتركة المعاني، مثال ذلك: كلمة (الظعينة) التي تدل على الهودج وعلى المرأة في الهودج. و كلمة (الكأس) التي تطلق على الإناء ذاته وعلى ما فيه من الشراب. وكلمة (الغريم) التي تدل على الدائن وعلى المدين وعلى الخصم أيضاً. وربما تندرج تحت ذلك كل الصيغ الصرفية المماثلة التي تستعمل للفاعل والمفعول مثل: سميع وعليم وقدير وكحيل وقتيل ودهين وجريح وطريد.

مـــاذا أقـــول...

ماذا أقول سيّدتي
لقد أصبحت معتقدي..
وبتّ تشكّلين
أمسي و حاضري
و غدي..
يا من تملكين حبّة القلب
و تسكنين أعماق
الرّوح و الكبد..
هيهات أن يلذّ لي العيش
إذا غاب طيفك عني
و لم يعد في قربك
سندي..
فباللّه جودي عليّ بوصل
يعيد إليّ الحياة
ويغنيني عن كلّ مدد..
فقد اختصرت الأزمان
و الأوطان
و كلّ ما في بلدي..
سيّدتي باللّه اعتقيني
و التفتي إلى قلبي المشحون
بالرّمد..
فقد تلاطمت أمواج بحره
الصّاخب بكلّ ذاك الزّبد..
يا من إليك الرّوح
تهفو و تشذو ألحانها
بلا عدد..

آمال علاوشيش

فصيح اللغة

مواضع يجر فيها الفاعل

الأصل في الفاعل أن يكون مرفوعاً، وقد يجيء مجروراً لفظاً مرفوعاً محلاً في مواضع

منها أن يقع مجروراً بإضافة المصدر إليه، نحو قوله تعالى: (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ). فإن لفظ الجلالة هنا فاعلٌ مجرور بإضافة المصدر «دفع» إليه .
ومنها أيضا أن يقع مجروراً بحرف الجر الزائد، نحو قوله تعالى: (مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ)... فإن كلمة بشير مجرورة بمن التي تسمى زائدة عند بعض النحويين، ويسميها بعضهم «صلة»، تأدباً مع القرآن الكريم. وتأويل الكلام - والله أعلم - «ما جاءنا بشير»... ومثل ذلك قوله تعالى: (وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)، فإن تأويل الكلام - والله أعلم - «وكفى الله وكيلاً.
ومنها كذلك أن يقع مجروراً بإضافة اسم المصدر إليه، ومنه الأثر المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه: «من قبلة الرجل امرأته الوضوء». فاسم المصدر هنا «قبلة» والمصدر «تقبيل» والاسم المضاف إليه هو «الرجل»، وهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً لكونه فاعلاً .

خاطـــــرة

وردتنا، لهذا الأسبوع، كلمة طريفة في تقريظ صحيفة البصائر والتنويه بأفضالها، ونحن نحمد لصاحبها المتأدب نبل عواطفه ومشاعره إزاءها، ولما كنا في أجواء الاحتفال بذكرى يوم العلم الأغر، المصادف ليوم وفاة إمامنا الأجل الشيخ رائد النهضة الفكرية ومحيي الأمة الجزائرية عبد الحميد ابن باديس، فقد ارتأينا نشر هذه الخاطرة عرفانا بأحد آثار الشيخ الجليلة.

في تقريظ البصائر

جريدة البصائر بها نستبصر
ودربنا بها ينار
جريدة البصائر يشم عطرها كالورد
ليس لها عندي في الجرائد ند
عقلي يتغذى من بستانها الفريد
كل أسبوع من معارفها أستزيد
طالب العلم لا شك من علومها يستفيد
من يكتشفها أول مرة يكون في قلبه لها ود
وإذا أدمنها فسواها لا يريد
أصدقائي القراء أوصيكم باقتناء البصائر
فيكون في عواطفكم بسببها اتحاد

عاشق اللغة العربية ومدمن جريدة البصائر بوملطة عبد المالك
قرية العزيب الساحرة- الشقفة- ولاية جيجل

أشعب وعطاء الأمير

حدث مرة أن كان والي الحجاز سائراً في الطريق فسأل أشعب، وكان بعدُ طفلا صغيرا:
- هل تعرف القراءة يا غلام فقال: نعم فسأله أن يقول شيئاً، فقال : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، فسُرَّ الأمير من هذا الجواب وأعطاه ديناراً ... فرفض الصبي أشعب أن يقبل الدينار، فسأله الأمير عن سبب رفضه، فقال أشعب: - أخاف أن يضربني أبي؛ فقال الأمير: قل له أن الأمير هو الذي أعطاك الدينار؛ فقال أشعب: إنه لن يصدقني... - فسأله حينها الوالي: ولماذا؟ فسكت الغلام لحظة، ثم قال: - لأن هذه ليست عطية الملوك.

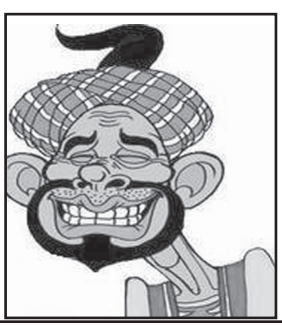

إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات***إصدارات***إصدارات***إصدارات***إصدارات***

«مزرعة أمزيان : تحقيق حول مركز التعذيب إبان حرب الجزائر»

الوجــه القبيــح للاستعمار الفرنســي في الجزائـــر

عن منشورات السائحي صدر كتاب «مزرعة أمزيان : تحقيق حول مركز التعذيب إبان حرب الجزائر» للكاتب الفرنسي جان لوك إينودي وترجمة الأستاذ محمد العلمي السائحي، يقع الكتاب في 181 صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على 26 فصلا.

قراءة: إسلام ساحلي

يقدم الكتاب مجموعة من الشهادات الحية لضحايا التعذيب من النساء والرجال الذين تم احتجازهم في مزرعة أمزيان بقسنطينة التي كانت من أكبر مراكز التعذيب في الشرق الجزائري في الحقبة الاستعمارية. والتعذيب كما يقول الكتاب: «هو المسألة الكبرى لحرب الجزائر -كما يسميها- الفرنسيون والأكثر إحراجا لهم أيضا تحت حكم الجمهورية الرابعة والخامسة .مارسه رجال الشرطة والجيش الفرنسي درست تقنياته وإدراجه في مؤسسة الدولة وكان له أماكن احتجاز مخصصة وصار وسيلة سارية اعتياديا لتحصيل الاستخبارات. لقد أدى هذا لا محالة للبربرية. على الرغم من ذلك أنكرت فرنسا الرسمية وجوده. مستمرة في الإدعاء أمام العالم بأنها الناطق الرسمي باسم حقوق الإنسان...»

يروي الفصل الأول من الكتاب وقائع قدوم المؤلف جان لوك إنيدوي إلى قسنطينة آتيا إليها من فرنسا في ديسمبر 1987 لمقابلة بعض الشهود الأحياء من ضحايا مركز التعذيب الكائن بمزرعة أمزيان هذه المزرعة التي حدثه عنها المحامي الفرنسي روبير بينستي الذي تولى الدفاع عن مقاتلين جزائريين حتى سنة 1956.رغم أنه كان من أنصار الجزائر فرنسية. وحاول إقناع الكاتب جان لوك إينودي بأن التعذيب خلال فترة حرب الجزائر كان شرا لابد منه.!

الفصل الثاني يروي قصة تعذيب السيدة جميلة قلال المناضلة هي وزوجها في صفوف جبهة التحرير الوطني. وكان عمرها عشرين سنة في 1959.عندما ألقى القبض عليها المظليون وساقوها إلى مزرعة أمزيان وهناك تلقت وشاهدت أنواعا من التعذيب تجاوز حدود التصور وصلت وحشيته إلى درجة تجعل الضحية تتمنى الموت . وقبل إطلاق سراحها أجبرها الجلادون الفرنسيون على التوقيع على إقرار يتضمن تصريحا بأنها عوملت معاملة حسنة.!!

الفصل الثالث يروي قصة السيدة زليخة بوقادوم التي اختطفت من بيتها في منتصف الليل وفصلت عن وليدها الذي كان في الشهر التاسع من عمره. وكان قائد عملية الاختطاف هو الرائد «روديبه» قائد مركز التعذيب بمزرعة أمزيان .حدث ذلك في سنة 1959 وظلت ذكريات التعذيب تطاردها في كوابيسها إلى وقت إدلائها بشهادتها في سنة 1987.

في الفصل السادس يقدم الكاتب وصفا لمزرعة أمزيان التي زارها في سنة 1987 والتقى فيها بالسيد أمزيان عبد اللطيف ابن مالك المزرعة القديم مولود

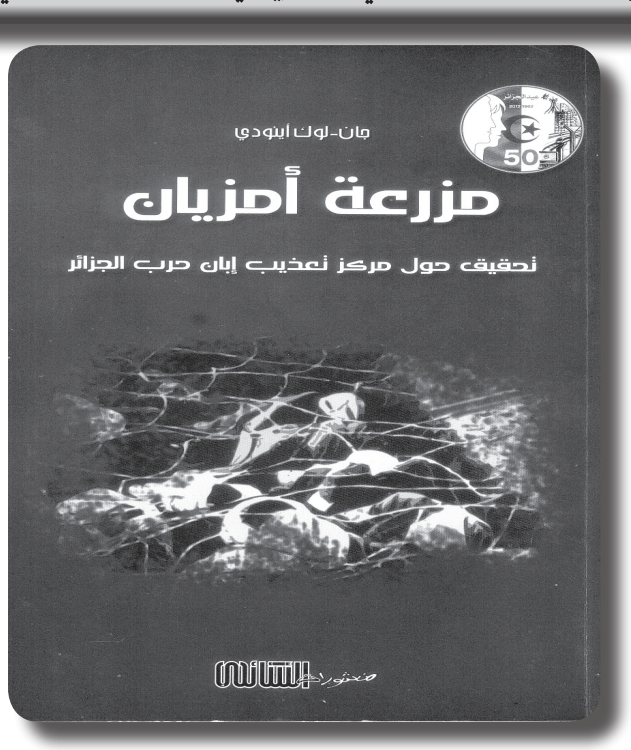

أمزيان الذي التقى به الكاتب في مدينة ليون الفرنسية في نوفمبر 1987، قبل شهر واحد من وفاة هذا الشاهد(مولود أمزيان) في الهند على أثر إصابته بنوبة قلبية. وروى قصة ذلك اللقاء في الفصل الحادي والعشرين من الكتاب.

تعرف الكاتب إينودي على المزرعة في جولة تفقدية لها صحبه خلالها عبد اللطيف أمزيان وقدم هذا الوصف للمزرعة: «جعلني دليلي أتعرف على ما كانت تستعمل فيه تلك الأماكن. عند المدخل على اليسار كان هناك وجار كلب. حيث كان يسجن المعذبون. على اليمين نجد أولا المكاتب. ثم الإسطبلات التي حولت إلى زنزانات وفي امتداد نفس البناية أماكن الترفيه للجنود: الحانة وقاعة السينما. الحانة الصغيرة مازالت موجودة إلى الآن ومقصورة العرض ومواقع مكبرات الصوت. في وسط المزرعة تماما توجد فيلا من طابق واحد. وكان الرائد روديبه يقبع في الطابق الأول وأسفله في الطابق الأرضي توجد قاعة للتعذيب وكان المساجين يرفعون العلم كل صباح على السارية التي تقع في الزاوية اليسرى من الفيلا. وفي الجناح الأيسر من المزرعة كانت هناك زنزانات أخريات تقع في الإسطبلات القديمة والحظائر وكانت تتسع لحوالي 400 شخص تقريبا. وكانت تجاور نادي الضباط الذي لازالت جدرانه تحمل آثار الزينة القديمة. كانت المزرعة تشرف على مساحات شاسعة وهي أرض ملك لأمزيان. وقد تم تحويلها إلى مناطق محظورة حيث نصبت أبراج مراقبة. أشار عبد اللطيف أمزيان إلى منطقة غابية تقع على بعد كيلومترات. وهو يقول لي عن تلك المنطقة أنها تدعى شطابة وفيها كانت تنفذ الإعدامات».

في الفصل الثامن يستعرض المؤلف في لمحة خاطفة محتوى كتاب «منطق الدولة» للكاتب بيار فيدال ناكي الصادر سنة 1962: وهو أول من كشف حقيقة التعذيب الفرنسي الممارس في الجزائر وفيه يعدد بعض تقنيات التعذيب منها: - - الشنق (التعليق) من الأرجل أو من الأيدي. وغالبا ما تكون اليدان مربوطتان إلى الخلف وذلك لعدة ساعات.

-التعذيب بالماء وهو على ثلاثة أشكال: على الوجه. الجبهة. الأنف والفم النفخ بالماء عدة مرات. القذف بالماء المضغوط.

- الكهرباء: تثبيت الأقطاب الكهربائية في الأذنين والأصابع.

-الحرق بالسجائر...إلخ

في الفصل الثالث والعشرين يروي المؤلف قصة مونيك أمزيان وهي الأخت غير الشقيقة لمولود أمزيان وتنحدر من أم يهودية وكيف تعرضت إلى مساومة من طرف السلطات الفرنسية للقيام بتمثيلية تظهر فيها وكأنها فتاة مسلمة اختارت طواعية نزع حجابها لتدليل على نجاح سياسة الاندماج الفرنسي ومقابل ذلك العمل وعدتها السلطات الفرنسية بإطلاق سراح أخيها مولود أمزيان المعتقل في المزرعة التي تحمل اسم عائلته وتعود ملكيتها لوالده الباش آغا أمزيان الذي اختار الجانب الفرنسي وهاجر إلى فرنسا للعيش فيها هربا من الثورة بينما بقي ابنه مولود في الجزائر وتعاون مع الثورة وذلك ما عرضه لأصناف متنوعة من العذاب.

يعتبر هذا الكتاب شهادة تاريخية حية .تكشف أساليب التعذيب الوحشية التي كانت تمارس بعلم وموافقة سلطات الاحتلال الفرنسي المدنية منها والعسكرية. كتب بأسلوب أدبي يجعله أقرب إلى فن القصة.

الإســـــلام في الغـــــرب

قراءة أخرى للمرحوم بن عبد الكريم حول هجرة المسلمين في الغرب

باريس / من يعدي بريان

فوجئت وأنا أؤدي صلاة المغرب بمسجد باريس. بأخ عاد من تَوِّه من سطيف. فأخبرني بوفاة الدكتور محمد بن عبد الكريم ابن زمورة والذي عرفته منذ 40 سنة. وعشت معه سنوات في باريس وهو من أقدم المعربين من الجزائر. ومعه الأستاذ قروف عبد العزيز الذين بموا وجوههم شطر باريس في الخمسينيات. ودرسا معا في الرابطة الفرنسية لتعليم الفرنسية للأجانب. وقد انصرف عبد العزيز قروف إلى التعليم -وهو من مشايخ جمعية العلماء- فقد كلف بمراقبة التعليم خلال مرحلة هجرة الجزائريين بأوروبا. ثم انتقل إلى مسجد باريس لتدريس العربية لأبناء المسلمين وعشاق الثقافة العربية من الفرنسيين الأجانب. وأنهى حياته التعليمية في باريس بإصدار كتاب حول طريقة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وأطلق عليها «الطريقة الخضراء» منشورات «البراق» لصاحبها محمد منصور صاحب مكتبة الشرق بالحي اللاتيني بباريس.

في حين توجه د- محمد بن عبد الكريم إلى التأليف فأثرى المكتبة العربية والجزائرية بعشرات الكتب منها «الثقافة ومآسي رجالها». «ومخطوطات جزائرية في اسطنبول» وترجم كتاب «المرأة» محمد بن خوجة. وعناوين أخرى وللدكتور بن عبد الكريم رحمه الله الذي رحل عنا في المدة الأخيرة دون أن يشعر به بنو قومه كعادتهم كتب أخرى أراد بها الخروج عما قال به علماء مسلمون آخرون. مثل القرضاوي. والمرحوم سعيد رمضان البوطي. وأعضاء المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث. مثل د- طه جابر العلواني والشيخ عبد الله بيه. وفيصل المولوي. وعبد المجيد الذي كان يتولى التدريس في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة. وقد عبر ذلك من خلال كتابين له الأول وهو بعنوان «الجنسية ردة وخيانة» وقد أهداني رحمه الله نسخة من هذا الكتاب. فقرأته أكثر من مرة. وتأكد لي أن الدكتور محمد بن عبد الكريم لم يطلع أصلا عن آراء المفكرين الإسلاميين المعاصرين فيما يتعلق بالواقع الجديد للمسلمين في الغرب. وقد طرح هؤلاء فكرة الجنسية والمواطنة. والمشاركة في الحياة السياسية في المجتمعات الأوروبية التي فيها ولدوا وفيها يعيشون. ففي المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث العدد 10-11-12 مايو 2007 جاء في مقدمة العدد تعبيرا عن مواقف المسلمين من الوجود الإسلامي في الغرب. أن قسما كبيرا من المسلمين الذين يقطنون البلاد الأوروبية أصبحوا مواطنين فيها يترتب عليهم من واجبات المواطنة وحقوقها ما يترتب على سائر الموطنين الأصليين. وظاهرة المواطنة بهذه البلاد الأوروبية تتطور نحو التوسع باطراد. وتنمو كمًّا وكيفًا على نحو متسارع. وفيما يتعلق بالمشاركة السياسية فقد جاء في المقدمة: «أن المواطن مطلوب منه بمقتضى مواطنته أن يكون مشاركا في سياسة بلده. إدلاءً بالرأي ومعارضة لما لا يراه صالحا من الخطط والتعريفات إلى غير ذلك. وفي مكان آخر تؤكد المقدمة. أن المسلمين المواطنين بأوروبا أصبح مطلوبا منهم دينا أن يعملوا من أجل ما فيه صالح المجتمع الذي يعيشون فيه. والحديث طويل في هذا الموضوع. وما أكده أعضاء المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ومقره إيرلاندا وفي فيه شخصيات من أصل جزائري وفي مقدمتهم الأستاذ أنيس قرقاح أستاذ في المعهد الأوروبي للعلوم الاجتماعية. بـ «سان دوي» الولاية 3 في شمال باريس.

وبعد هذه السياحة في آراء ومفكرين مسلمين معاصرين فيما يتعلق بالوجود الإسلامي في الغرب من خلال المجلة العلمية اللسان المعبر عن «المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث» الذي يسعى اليوم لإنشاء فقه الأقليات الإسلامية في الغرب انطلاقا من ظروفها وعيشها وتعايشها في مجتمعات غير إسلامية ذات انتماء للحضارة المسيحية. ولهذه الأقليات ظروف لم يعرفها المسلمون من قبل. فقد كانوا في غابر الأزمان سادة شريعتهم فوق الشرائع. واليوم نعيش في ظروف مغايرة حيث هناك حوالي 50 مليون مسلم يعيشون في الغرب نصفهم تقريبا يحملون جنسيات الأوطان الأوروبية التي يعيشون وفيها يعملون. وفيها نشأوا وتعلموا واستوجب عليهم المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية في البلدان التي يعيشون فيها بدل أن يبقوا بعيدين عن المشاركة. فتضيع حقوقهم ومطالبهم. إلا أن للدكتور محمد بن عبد الكريم الزموري الجزائري. رحمه الله. رأيا آخر تماما وقبل رحيله إلى عالم الفناء أهدى إلي كتابا بعنوان «الهجرة من الأقطار الإسلامية» تحدث في البداية عن الهجرة إلى الحبشة التي قام بها أصحاب رسول الله وكان أول من هاجر من أصحاب رسول الله فارين بدينهم 14 شخصا يرأسهم عثمان بن مضغون. توجهوا إلى أرض الحبشة حيث كان فيها ملك لا يظلم عنده أحد. فجاءت موجة أخرى من المهاجرين وفيهم الصحابي الجليل عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام. وبهذا بلغ عدد المسلمين الذين هاجروا إلى أرض الحبشة 83 رجلا. بالإضافة للنساء والأطفال. وقد أثنى الله على هؤلاء بقوله: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، والسؤال هو: هل كانت الحبشة يومئذ أرض إسلام؟ فقط أن فيها ملك عادل. ألم يحدث في عصرنا الحاضر أن فرت عدة شخصيات إسلامية من أوطانها الإسلامية هروبا بجلدها خوفا من بطش الحاكم. فوجدت هذه الشخصيات الأمن والأمان في بلدان غير إسلامية. وقد أورد د- محمد بن عبد الكريم في الصفحة 18 من كتابه «أن كل أرض يسمح فيها بتأدية الشعائر الدينية بحرية مطلقة تعتبر دار إسلام. وأعتقد أن العلماء المسلمين المعاصرين أخذوا بهذا الكلام انطلاقا من الواقع. فالمسلمون في ديار الغرب يؤدون طقوسهم بكل حرية. فلهم مساجدهم ومدارسهم الإسلامية ومكتباتهم ولا يمنعهم أحد من أداء شعائرهم. فصلاة الجمعة والأعياد تقام في مساجد الغرب وتحرص السلطات الفرنسية مثلا في يوم الجمعة على إيفاد مجموعة من رجال الشركة لحفظ الأمن. وبعد صلاة الجمعة بكل أمن وأمان. كذلك الأمر بالنسبة لعيدي الفطر والأضحى. وأكد محمد بن عبد الكريم ما هو مؤكد وهو أن أية أرض تمكن المسلم فيه من تأدية شعائر دينه بحرية لا تجب الهجرة منها. وهو ما أجمع عليه المعاصرون عكس بعض المتشددين عن غير علم والذين يطلبون المسلمين ترك ديار الغرب لأنها ديار كفر للهجرة إلى ديار الإسلام. في بلاد المسلمين بل إن كثيرا من العلماء المعاصرين يرون في الوجود الإسلامي صورة حسنة تخدم الإسلام والمسلمين. إذ أن كثيرا من الأوروبيين الذين أعلنوا عن إسلامهم جاء ذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين. وقد لاحظت ذلك بالنسبة للشباب الفرنسي الذي يسكن مع الشباب المسلم في مدن الضواحي. فمن شدة احتكاك الشباب الفرنسي بالشباب المسلم أسفر عنه تأثر الشباب الفرنسي بالشباب المسلم فانتشر بينهم الدين الإسلامي.

د- محمد بن عبد الكريم يتحدث عن معانات المسلمين في الغرب. وهو أمر لا يعارض فيه أحد وكلنا نمسي ونصبح على ما يذيعه الإعلام الغربي ضد الإسلام والمسلمين وما يروجه من بهتان. وزور ما بعده زور ويؤكد د- بن عبد الكريم أن المسلمين جنس غير مرغوب في الغرب. كلام فيه كثير من الصحة وليس كله صحيحا. فقد قرأت ذات يوم في إحدى الصحف الفرنسية أن مدينة فرنسية هاجرها الأجانب فوجدت نفسها في وضع مؤلم. حيث كسدت التجارة. وأغلقت عدة مدارس وقل الاستهلاك. وبقيت مدينتهم حزينة بفقدانها للأجانب الذين كانوا وراء الحفاظ على الوضع الاجتماعي في مدينتهم بدون خلل. وكل عقلاء فرنسا يعتبرون أن الوجود الأجنبي في فرنسا ومنهم المسلمون هو ثراء للثقافة الفرنسية وللمجتمع الفرنسي

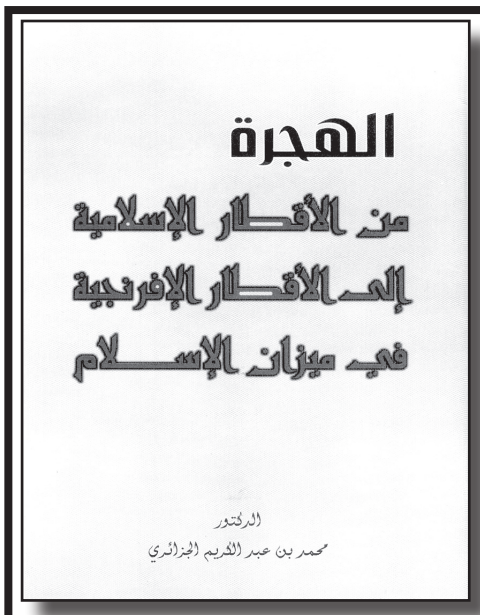

في حين يقول د- محمد بن عبد الكريم «أن المهاجرين المسلمين مذبذبون بين المجتمع الكافر وبين المجتمع المسلم. فلا هم كفار بالأصالة ولا هم مسلمون بالوراثة. فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. فوجودهم في المجتمع الإفرنجي غير مرغوب فيه. ووجودهم في المجتمع الإسلامي غير راغبين فيه. حتى يقول فنجاة هؤلاء المهاجرين من التعاسة والشقاء كنجاة من رمى بنفسه من قمة جبل شاهق ونادى يا سيدي عبد القادر أو مثله كمثل من ألقى به في البحر مكتوف اليدين والرجلين وطلب منه ألا يغرق. وهو كلام مغرق في التشاؤم بواقع المسلمين يصدر من كاتب جزائري مسلم عاش في فرنسا وأقام فيها بمفرده ومع أسرته. وهو يرى مساجد تقام. ومدارس إسلامية تفتتح. ودور النشر تصدر ترجمات للقرآن والكتب الإسلامية مترجمة للفرنسية وتباع على نطاق واسع وآلاف من الفرنسيين يعتنقون الديانة الإسلامية كل سنة. وقد استمعت شخصيا إلى المرحوم د- سعيد رمضان البوطي وهو يتحدث عن الإسلام في الغرب بتفاؤل كبير إلى حد ساده الاعتقاد بأنه يمكن أن ينبعث التجديد الإسلامي من الغرب على يد أناس متشبعين بالثقافة الغربية. ومتفتحين على الإسلام بل كاد أن يقول أننا نحن فشلنا في التجديد فلننتظر التجديد في المستقبل من هؤلاء لعل وعسى. وما كتبه الدكتور محمد بن عبد الكريم حول هجرة المسلمين إلى الغرب إذا أخذنا به فإننا نضع حوالي 50 مليون مسلم في الغرب بفي ضلال مبين والعكس صحيح. فهناك جهود تبذل من أجل أن يكون للوجود الإسلامي في الغرب فائدة للإسلام والمسلمين معا. والله الموفق.

عــرض: زبيــر طـوالبــي (الثعالبي)
zoubir.toualbi@gmail.com

بمناسبة يوم العلم، ومناسبات أخرى وطنية وتنظيمية، أنجزت الشعب الولائيةوالبلدية لقاءات ثقافية، مكنت الحاضرين من الاستفادة منها، كما برمجت أيضا لقاءات أخرى ننشرها في حينها

ولاية برج بوعريريج:

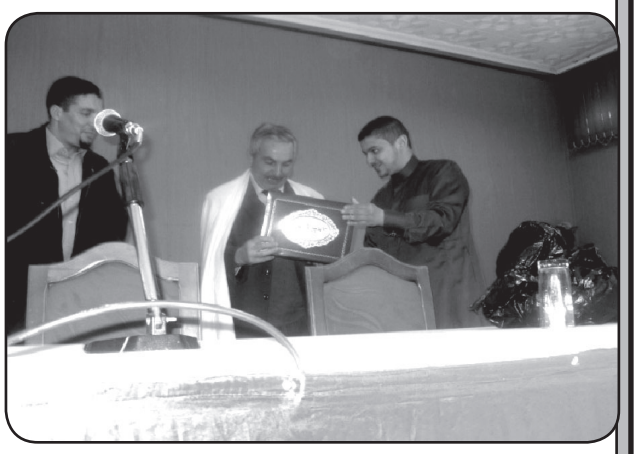

في إطار النشاطات التي تنظمها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - شعبة برج بوعريريج-

نظمت يوم السبت 09-03-2013 رحلة إلى مدينة تيكجدة الواقعة بأعالي جبال جرجرة لولاية البويرة حيث كانت هذه الأخيرة محطة سياحية لطلبة المدارس القرآنية. برئاسة الأستاذ: ابن ساعد تهامي (رئيس المكتب الولائي) وبمساعدة كل من: بن محمد عبد الغني وروابح رفيق.

وكان أبطال هذه الرحلة التي مست معظم بلديات الولاية عددا من الطلبة مجموعهم ثلاثون طالبا من مختلف المدارس التابعة للجمعية، مدرسة ابن باديس برج بوعريريج، مدرسة مبارك الميلي نادي أحباب التهذيب الطاهر سي لوصيف بير قاصد علي عثمان بن عفان....

حيث تمت بفضل الله على أحسن وجه وتحقق بحمد الله هدف الجمعية وهو التدبر في كون الخالق عز وجل والترفيه عن نفوس الطلبة وإثلاج صدورهم بما يرضي الله. مثلما كان ذلك باديا على وجوههم.

وفي ذات السياق:

نظم الفرع النسوي لجمعية العلماء المسلمين بلدية المهير بدار الشباب يوم السبت 1434-04-26هـ الموافق لـ 09-03-2013م احتفالا بمناسبة اليوم العالمي للمرأة. حيث نشط هذا الحفل السيد:عبد الحفيظ شريف(عضو المكتب الولائي المكلف بالوعظ والإرشاد) بمحاضرة قيمة استهلها بضبط مصطلح عيد المرأة،مبينا حكم الشرع في الاحتفال به، كما وضح نظرة الإسلام للمرأة، ثم تحدث عن الجمعية ونظرتها للمرأة ذاكرا في ذات السياق سعي الشيخ العلامة:عبد الحميد بن باديس إلى تفعيل دور المرأة داخل الأسرة والمجتمع.

إلى أن خلص الإمام إلى دعوة الحاضرين بالتأمل في واقع المرأة الجزائرية والعربية واستخلاص العبر راجيا من الله أن يصلح شأن هذه الأمة.

- وعلى هامش الندوة نظم معرض خاص بأشغال الخياطة والطرز الذي أشرفت عليه السيدة.ديسة مسعودة- عضو بالفرع النسوي- والذي دام إلى غاية يوم السبت 09-03-2013.

إحياء اليوم العربي للغة العربية.

و بمناسبة اليوم العربي للغة العربية نظم المكتب الولائي للجمعية - برج بوعريريج - أمسية السبت 16-03-2013 بقاعة عائشة حداد ندوة علمية نشطها الأستاذ الدكتور: صالح بلعيد (أستاذ بجامعة مولود معمري تيزي وزو، رئيس مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر بها) بإلقاء محاضرة تحت عنوان: «لغةُ القرآن تواجهُ خطرَ الانقراض» وكانت الدعوة عامة فشملت مختلف المستويات من أساتذة ومعلمين إلى طلبة وتلاميذ. تناول الدكتور من خلالها مجموعة من المعاني والأفكار وطرح العديد من الإشكاليات والانشغالات التي تصب في هذا الموضوع. و كان من أبرز ما تضمنته محاضرته القيمة بعد ما استهلها بمقدمة أثنى فيها على الجمعية وما تبذله من جهود إزاء خدمة اللغة العربية وبالشكر الجزيل لرئيس وأعضاء المكتب الولائي لاستضافته في مدينة العلامة الشيخ: محمد البشير الإبراهيمي، العناصر الآتية:

• مكانة اللغة العربية عبر العصور (من عصر نبي الله إسماعيل عليه السلام إلى عصرنا الحديث)

• حالة الوضع الراقي التي كانت عليه، والوضع المزري التي آلت إليه لغة الوحي.

• و ذكر في هذا المنوال مناسبة الاحتفاء باللغة الوطنية.

• ثم عرج الدكتور إلى تقديم إحصائيات قام بها باحثون ودارسون في اليونسكو حول تقييم لغات العالم إذ صُنفت اللغة العربية من خلالها من بين 300 لغة مهددة بالانقراض.

* وحمل الأستاذ هذه القضية (قضية الانقراض) لكل عربي، وجعلها مسؤولية تخمل طابع الشأن العام على حد تعبيره، وعدد جملة من أسباب هذا الانقراض نذكر من بينها:

- انتشار لغة الغالب(المستعمر)

- استفحال ظاهرة الازدواجية اللغوية لاعتبارات تاريخية وثقافية.

- انحدار المستوى اللغوي للفرد العربي بفعل ضحالة المستوى التعليمي

- عدم الاعتزاز باللغة الوطنية، وافتقاد الحس بقيمة اللغة كمقوم في بناء الأمة.

* إلى أن سرد على السامعين مجموعة من الحلول لإنقاذ لغة أهل القرآن منها:

- الاقتداء بما تقوم به الأمم الحية.

- عدم التشكيك في صلاحية اللغة العربية.

- الاعتزازُ باللغة الوطنية على أساس أنّها صفةُ التميّز والوجود..

- توسيعُ دور الجمعيات الثقافية المحلية والوطنية، والعمل بمنهجية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- ربط اللغة بالدين؛ ضمن قاعدة: مالا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب.

- جعلُ العربية شأناً عاماً.

- تدريسُ العلوم القاعديةِ باللغة العربية...

واختتم مجلس المحاضرة بمجموعة من المداخلات طرحها بعض الحاضرين على الأستاذ، تمثلت جلها في كيفية إصلاح الوضع الذي تعيشه اللغة العربية، وكما ربانا ديننا الحنيف على إكرام الضيف وكما عودنا به دوما أعضاء الجمعية من حسن الضيافة تم تكريم الأستاذ في نهاية الندوة بهدية متواضعة عرفانا وشكرا وتقديرا، لينصرف الجميع مع أمل اللقاء وحال اللغة العربية أفضل مما هي عليه اليوم.

★★★

ولاية الشلف:

تنظم شعبة ولاية الشلف برنامجا ثريا بمناسبة يوم العلم، تحت عنوان: «ثمار الإصلاح التربوي... إطلالة تاريخية... ورؤية مستقبلية» يؤطرها كل من:

الشيخ بن يونس آيت سالم -نائب رئيس جمعية العلماء «بجامعة الشلف يوم 15 أفريل».

الدكتور علي بن محمد: الوزير الأسبق للتربية.

الدكتور عبد القادر فوضيل - عضو المكتب الوطني لجمعية العلماء.

الشيخ محمد مكركب عضو المكتب الوطني للجمعية.

وهذا بقاعة سينما الجمال وسط مدينة الشلف بداية من الساعة الثامنة ونصف وعلى هامش اليوم الدراسي معرض للكتاب.

ومساء يوم 13 افريل 2013 بعد صلاة العصر مباشرة ندوة علمية بالمجمع العلمي ببلدية وادي اسلي.

15 أفريل 2013 النادي الثقافي والعلمي للإبداع والتوعية بمشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ينظم المسابقة الوطنية لفارس القران الجامعي بكلية الآداب بأولاد فارس- جامعة الشلف- بداية من العاشرة صباحا (10.00سا) بحضور النائب الثالث لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بن يونس آيت سالم وتدوم فعاليات المسابقة ثلاثة أيام.

محاضرة تاريخية مساءا يوم 15 افريل بعد صلاة العصر بالمجمع العلمي بوادي اسلي

16 أفريل 2013 احتفالات يوم العلم بثانوية محمد سحنون ببلدية وادي اسلي بداية من الساعة 9:00سا صباحا والتي تنظمها الثانوية بمشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

20 أفريل 2013 الحفل النهائي لمسابقة فارس القران الكريم على مستوى بلدية وادي اسلي بداية من الساعة التاسعة 9:00 صباحا بالمجمع العلمي.

وعلى هامش هذه الأنشطة دروس ومحاضرات ببعض مساجد الولاية.

وسنوافيكم إن شاء الله في عدد لاحق بتقرير مفصل عن هذه الأنشطة.

★★★

ولاية بجاية:
شعبة بلدية تازمالت:

نظمت شعبة تازمالت بالتنسيق مع جمعية «أفوذ» يوما تكوينيا، عنوانه «تواصل الأجيال»، تحت شعار: «الأحفاد على آثار الأجداد».

في مقرها المبارك اجتمعت ثلة من شيوخ الشعبة، ومجموعة من شباب الجمعية، كلهم نشاط وحماس، ومجموعة من الأخوات والطالبات للاستماع إلى محاضرة الأستاذ وليد قادوم الذي أبهر الحاضرين حين بدأ يستعرض أفكاره النيرة، والجميع يتلقفها بشغف، حيث ركز على عنصر الإنسان، الذي يعتبر رأس مال النجاح، حامل الرسالة الدعوية، وناشر الأمانة الثقيلة، حين أبت الجبال والسموات والأرض على تحملها، ولكن تقبلها الإنسان رغم خطورة حملها، لعظم شأنها.. والله يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾الأحزاب72. كلمات المحاضر أثرت إيجابياً في الحاضرين، وولجت إلى وجدانهم، فاستمتعوا، وأخذوا، ونهلوا من علمه الغزير.

وانتهت الندوة بفتح نقاش جاد، باعتماد حوار هادئ بين المحاضر والمتتبعين، وتمنوا تنظيم ملتقيات أخرى للفائدة المرجوة منها.

★★★

ولاية الجزائر:
شعبة بلدية الرويبة:

تنظم شعبة الرويبة يوم الثلاثاء 16 أفريل في الساعة الثانية زوالا بقاعة ONDEFOC بالرويبة، حفلا بمناسبة يوم العلم يحضره أعضاء من المجلس الشعبي البلدي، وأعيان المدينة، ومحبو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وينشطه دكاترة وأساتذة، كما يعقب الحفل تكريم نجباء التلاميذ والطلبة من مختلف المؤسسات التعليمية المختلفة.

والدعوة عامة

★★★

ولاية بومرداس:
شعبة خميس خشنة

بمناسبة احتفالات يوم العلم 16 أفريل، تنظم شعبة بلدية خميس الخشنة الذكرى، تحت شعار: «على خطى السلف» ينشطها الأستاذ نوار جدواني -عضو المجلس الوطني- وشخصيات علمية أخرى، وستبدأ فعاليات الحفل من 13 إلى 16 أفريل، بالمركز الثقافي لخميس الخشنة، تتبعها عروض تتمثل في معرض للكتاب، وعرض للخياطة وغيرها، كما تنظم مقابلة رياضية في كرة القدم بالملعب البلدي للمدينة. فكونوا في الموعد

هل هناك فعلاً أمة إبراهيمية أو تراث إبراهيمي جامع؟

لم يتسنّ للأديان الإبراهيمية، حتى عصرنا الراهن، رسم خطّة مشتركة في التعايش والاحتضان بين بعضها البعض، تتواضع بمقتضاها على حضور أتباع الدين الآخر بين ظهرانيها، دون أن يلحقهم أذى أو ترهقهم ذلّة، وإن كانت حصلت معالجات منفردة لهذه المسألة، اختلفت تفاصيلها من دين إلى آخر، دون بلوغ أسس جامعة...

بقلم: د. عز الدين عناية*

فمن الأديان الثلاثة من يملك تشريعات في الشأن، غير أنها تقادمت، أو هُجرت، أو داهمتها التبدلات الاجتماعية الهائلة، دون أن يتعهدها أهلها بالتهذيب والتنقيح، على غرار مؤسسة أهل الذمة، أو مفهوم أهل الكتاب في الإسلام؛ ومن تلك الأديان من لا يزال في طور تخليق منظومة لاستيعاب الآخر، لم يحصل بشأنها إجماع داخل المواقع النافذة في المؤسسة الدينية، على غرار «لاهوت الأديان» في المسيحية.

ذلك أن مفهوم الأديان الإبراهيمية حمّال ذو وجوه، كلّ له دلالته وكلّ له تأويله؛ وما نشهده من إيلاف في الراهن داخل المجتمعات، يأتي بفعل الإطار التشريعي للدولة المدنية الحديثة لا بموجب تحريض تلك الأديان، رغم ما يلوح جليا من قواسم مشتركة، ومن تقارب عقَديّ بين اليهودية والمسيحية والإسلام، وبالتالي يبقى التحدي يواجه الجميع، وهو كيف تعيش تلك الأديان شراكة الأوطان؟ وكيف تغدو حاضنة لبعضها البعض ولا تكون طاردة؟ إذْ ما برحت اليهودية والمسيحية والإسلام دون مفهوم «أهل الكتاب» الضامن للعيش المشترك، ودون مفهوم «الأديان الإبراهيمية» الجامع للتنوع المفترق، وينطبق عليها مفهوم «الأديان الثلاثة» المتجاورة والمتباعدة في الآن نفسه.

مفهوم الأديان الإبراهيمية حمّال ذو وجوه، كلّ له دلالته وكلّ له تأويله؛

فهذا الرصد للعوائق بين الأديان الإبراهيمية أساسا وموقعها من رؤية العالم لا يرنو إلى صياغة مفاضَلة بينها، على غرار، أيها أرحب صدرا في احتضان الآخر؟ ولا ينظر إلى المسألة ضمن معادلة «نحن النعيم والآخرون هم الجحيم*»، لأن الحدود بين الأنا والآخر باتت متحولة متداخلة، ذلك أن المفاضلة في عصرنا أمست منهجا متقادما فاقد الصلاحية، وأن كل عملية احتضان، مفاهيمي أو مؤسساتي، هي وليدة جدل اجتماعي مُركّب.

شئتُ أن يجري الحديث عن هذه العوائق بشكل ملاصق للمعيش اليومي، ومُتابِع للواقع الراهن بين أتباع الأديان الثلاثة، في هواجسهم وفي تعايشهم، في تآلفهم وفي تنافرهم، داخل الوطن الواحد وفي ظل الحضارة الواحدة؛ لذلك تشغل العناصر المشار إليها لاحقا أوضاع ذلك الآخر، الذي يمثله دين القلّة، وبالمثل تمثله الذات، حين تتبدل المواقع وتتغير الحواضن، فتغدو الذات -ضمن انزلاق دلالي- هي الآخر. تأتي هذه الورقة تأمّلا في أوضاع الأديان في الراهن، وإن أملت الضرورة العودة إلى الأصول، أو إلى سالف التجارب، لفهم مجريات الواقع المستنفَر، فأحيانا تكون أطر استيعاب الآخر المؤسساتية أو المفاهيمية مضلّلة، لا تفصح عما يتخلّلها من تناقضات، ولا يتسنى رصد مظاهر الدونية والحيف من خلالها، فتضيع مكابدات العيش المشترك في طياتها.

وليس غرض هذه الورقة أن تكون دعوة أخلاقية، تحضّ على فضائل تعايش الأديان والحوار بينها -وإن كان صاحبها يجلّ ذلك الدور-، ولكنه حديث عن الأديان حين تنزل معترك الاجتماع، وحين يتحكّم بعضها بمصائر بعض، حيث ينأى المشارك عن المطارحات الشائعة في حوارات المجامَلَة، التي طالما تتناول المنشود وتغفل عما هو موجود، ليقف على نقيض تلك المقاربة، واضعا المتابع أمام واقع التدافع الديني، بشكليه، المحمود والمذموم.

فالأديان الثلاثة تبدو مقبلة على مواسم تفوق قدراتها الهرمنوطيقية التقليدية، يفرضهما التعايش والتداخل بين المؤمنين، ما عادت المدونات الفقهية واللاهوتية الكلاسيكية كفيلة بحلها، كما أن هناك قضايا تواجه تلك الأديان تتخطى إمكانيات دين بعينه، وتتطلب تضافر الجهود، مثل إشكاليات البيئة والمناخ والفاقة والأمية والتحويرات التي تمس بنية الأسرة ومعهود الأخلاق، وغيرها من المشاكل العويصة، فالعالم اليوم يتغير من تحت أقدام الأديان الثلاثة -إن صح التعبير- بوتيرة متسارعة، غالبا ما توفّق التشريعات المدنية في التأقلم معها، وتتعثّر الديانات الإبراهيمية عن مواكبتها، في وقت يُفترض فيه أن تكون الأقدر والأجدر لما بينها من رؤى أنطولوجية جامعة.

كان علماء الاجتماع الديني الأمريكان، أمثال روداي ستارك ولورانس إياناكوني وروبار توليسون، من أوائل الذين نبهوا إلى أن الفضاء الديني الغربي، أو كما يطلقون عليه «السوق الدينية»، محكوم بالاحتكار من طرف متعهّد قوي يمسك بمقدرات الفضاء، يضيّق على غيره التواجد، ويحدد مقاييس الحضور وفق مراده، ومن المفارقات الكبرى في عصرنا، أن الدين المستضعَف المهاجِر، بات يستجير بالعلمانية وبالدولة المدنية طلبا للمقام الآمن، ولا يجد ذلك المأمن وتلك النُّصرة عند رفيقه في رحلة الإيمان، وهو حال الإسلام الأوروبي، فهو ليس في استضافة الكاثوليكية «التقليدية» ولا البروتستانتية «التقدمية»، ولكن هو في كنف العلمانية، فقد وفّقت المجتمعات الحديثة في ما خابت فيه الأديان الثلاثة، من حيث إتاحة فرص الحضور للآخر، في وقت يُفترض فيه أن يكون المؤمن «الإبراهيمي»، بين أهله وملّته، حين يكون في الحاضنة الحضارية لدين من الأديان الثلاثة، لكنه في الحقيقة لا يجد تلك السكينة، وغالبا ما يلقى حرجا، ويأخذ صورة الخصم والمنازع والمهدّد القادم من وراء البحار، ولذلك أمام دعاة الحوار اليهودي المسيحي الإسلامي، ثمة ضرورة ملحة لطرح سؤال: هل هناك فعلا أمة إبراهيمية أو تراث إبراهيمي جامع؟

وضمن هذا السياق نشير إلى جملة من العوائق بين هذه الأديان اليوم والتي على ضوء تذليلها يمكن الحديث عن سير باتجاه إرساء تفاهم مشترك:

- بدءا أشير أنه برغم الإنتاج والاستهلاك المكثّف للمادة الدّينية في الاجتماع العربي، يُعَدّ هذا المجال أبعد القطاعات عن تحقيق الوعي العلمي أو بلوغ الرّصد المعرفي لظواهره، يتجلّى ذلك على سبيل المثال، من خلال ما يُروَّج مع عبارة «حوار الأديان» الشائعة في الحديث والكتابة، دون التعرض إلى فلسفة الحوار ومنهجيته وآلياته، حتى اختلطت الدّعوة بتوظيفات أيديولوجية وسياسية تجنح بعيدا عن التناول الموضوعي والعلمي، فتحوّلت مقولة حوار الأديان إلى لغة استهلاكية تستبطن وعيا واهما وتضمينا حالما لمدلولها، تُبنى عليها صروح من التخمينات الضبابية التي تعوزها الواقعية.

- بشكل عام يتوزّع الحوار على ضربين: حوار عن بُعد وحوار من قرب.

وما هو سائد في المؤتمرات واللّقاءات، في جلّه، هو حوار عن بعد وإن تمّ من قرب، يجري أساسا عبر المفاهيم العليا والرؤى الشمولية، وغالبا ما يكون متجاوزا لحدث الحوار المعيش والشعبي وهو الأخطر، ولعلّه الأصدق والأكثر واقعية من الحوار النّخبوي.

- النظر إلى الأديان من خلال المنظور الذاتي وتجنب عرضها كما ترى نفسها، وهو ما يخفي تخوفا من الدين الآخر والتعامل معه بمثابة التهديد الماثل أمام الذات، فيتحول الآخر الديني إلى خصم، وفي الغرب غالبا ما يروج أن الإسلام يضع العراقيل أمام دين الآخر، والواقع أن الأديان الأخرى ولاسيما منها الديانة المسيحية في بعدها الغربي، رغم الادعاء بأنها تتيح الحرية للآخر، فإنها عادة ما تحد من هذا الأمر للدين الإسلامي، أو توكل من ترضى عنهم للتعريف به أو عرض منظوره من عديد القضايا، عاينت هذا الأمر بالأساس في أنشطة المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية في روما، صحيح أن المعهد يتيح هامشا لعرض الدين الإسلامي، ولكن هذا العرض ما لم يكن مسايرا للتوجه الكاثوليكي، فإنه يلقى صدا ونفورا، وبالتالي ينبغي أن نخرج من هذا التسامح المزيف مع الآخر إلى تسامح حقيقي وصادق.

- ضرورة إرساء إناسة للغرب كمدخل للحوار الواعي معه، ذلك أن الطّرق السريعة التي يشقّها الوعي الإسلامي، باتجاه العقل الغربي، محكومة قسرا بالمرور عبر عيّناته الاجتماعية والإناسية، إذ غالبا ما يُلاحظ تجاوز الكتابة الحضارية في الفكر العربي لبنية الاجتماع الغربي وانغماسها في بنية النصوص والمقول، والحال أن المكتوب النصّي لا يعكس موضوعيا ما يعتمل في الاجتماع.

- واقع إتاحة الحضور الشكلي للأديان الأخرى وحرمانها من جل مقومات الحضور، وسنضرب مثلا على ذلك: فالإسلام يحضر في جل البلدان الغربية ولكنه غالبا ما تُسلَب منه مقدرات ذلك الحضور، مثل الحق في التعليم لدينه بشكل مساو للآخر، كما أن أهله يساهمون في النشاط الاجتماعي العام لكنهم يحرمون من بعض العائدات التي تمنحها الدولة لبعض الأديان دون غيرها.

ولذلك أمام دعاة الحوار اليهودي المسيحي الإسلامي، ثمة ضرورة ملحة لطرح سؤال: هل هناك فعلا أمة إبراهيمية أو تراث إبراهيمي جامع؟

* أستاذ بجامعة روما والكلمة ألقيت في "ندوة فقه رؤية العالم والعيش فيه" في سلطنة عمان المنعقدة بين 6 و 9 أفريل 2013
tanayait@yahoo.it

مساحة إشهارية

مراجعة نقدية لبعض مقاصد الخطاب الحداثي العربي /2

بقلم: الدكتور فؤاد مليت

وإنما كان مقصودنا من الحديث عن المسؤولية الفكرية، وما رأيناه من استثقالها من قِبَل مفكري الحداثة الأوائل، الإشارة إلى أصلَ راسخ في الممارسة الأنوارية، ولاسيما مع ما نعلمه من سريان روح الأنوار في فلسفة الحداثة ومبادئها، حتى أن هذا الأصل المومأ إليه يعد واحدا من أسس الحداثة وأركانها؛ فقد عرَّف كانط الأنوار بقوله: «هي خروج الإنسان من حالة القصور التي هو عليها، بسبب انعدام القدرة لديه على استعمال عقله دون توجيه من الغير [...]»1. فإذا كانت هذه هي حال الأنوار من تحطيم لكافة أشكال الوصاية وانعتاق من قيود القصور وتحرر مسؤول في التفكير، وقيام الإنسان بتدبير أحواله بما هو راجع إلى خاصية ذاته، فإن الذي يدعونا إليه طه حسين إنما هو إطفاء لجذوة الفكر فينا، أو ما تبقى منه لدينا، أي أن دعوة طه حسين إنما هي دعوة جهالة وظلامية، ما دامت تنتهي إلى وجوب اتِّباع طريق غيرنا؛ هي إذن، في منتهى أمرها، مشروع يستبدل تقليدا بتقليد، أو هو يخرج من وصاية، لا ليستقل بواجب التفكير لذاته، بل ليدخل طواعية، دخول القُصَّر الذين لا يملكون من أمورهم شيئا، في وصاية أخرى. حقا، «ما أسهل أن يكون المرء قاصرا»2، يستبدل سيدا بسيد، بل إنه لو خُيِّر بين هذه الحال وحال كونه قائما بشؤون ذاته ومسؤولا عن جميع أحواله، لاختار الحال الأولى لِمَا فيها من انعدام المسؤولية فرارا من متاعبها ومشقاتها؛ فإن الحرية موقف مسؤول، وهي كفاح دائم لتجاوز معوقاتها. وإذن فهذا الذي يدعو إلى الاتباع، أيا يكن المتبوع، هو ما يزال قاصرا، في معنى أن صفة القصور باقية فيه على حالها، وأن طور الرشد ما يزال لديه غاية غير مدركة أو حلما مطلوبا، يفتقر إلى العُدَّة الفكرية التي تمكنه من الظفر به.

هذا، ولئن كانت دعوى اتِّبَاع حضارة أوروبا ساقطة في النصف الأول من القرن الماضي، زمن طه حسين، فهي عندنا، اليوم، أشد سقوطا وتخلفا؛ اللهم إلا أن يقال إنه وبعد مضي قرن ونيف عن استفاقة العرب والمسلمين على الواقعة التي زلزلت كيانهم وأوقعت في أنفسهم الرهبة من تقدم الغرب ومن عمق ما بين العالمين من هوة، ما يزال عرب اليوم قابعين في موقع عرب الأمس، لم يتجاوزوه، ولا هم غيروا من وضعه أو من شروطه؛ بل إنهم- على ما يظهر من أحوالهم الراهنة- قد فقدوا هِمَّة الأوائل وعزمهم على النهوض والوقوف وقوف الندية لحضارة الغرب، ولو بتقليدها! فما عادوا، في الغالب، قادرين على مجرد تصور إمكان قيام حداثة غير أوروبية، فاعتنقوا بسبب ما هم عليه من انسلاب فادح أطروحة كونية الحداثة أو عالميتها- دفعا لمسؤولية التفرد والخصوصية-؛ كما لو أنه لا مجال لحداثة غير أوروبية، ولا لفلسفة غير أوروبية، ولا لقيم غير أوروبية. وهل هناك استرقاق أشنع من أن ينتهي المفكر العربي، بعد تحليل المسألة واستقصاء وجوهها، إلى أن أوروبا هي الكونية؛ ولما كانت الفلسفة هي التفكير على نحو كلي، وكانت الحداثة هي هذا النمط من التفكير على جهة الكلي ذاته، فإنه من طلب الكلي فقد طلب أوروبا؟

لننظر بشديد الاختصار في السبب الذي حمل ممثلي الحداثة العرب على الاندهاش من واقع الحضارة الأوروبية حتى ارتفعوا به إلى مقام الكلي؛ ولنترك الكلام للمفكر التونسي عبد المجيد الشرفي، الذي أخذ يعدد مظاهر الحداثة بوصفها نمطا حضاريا أوروبيا، يقول: «[...] - في التقدم العلمي الباهر في شتى الميادين، وفي الاكتشافات والاختراعات التي غيرت نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى العالم من حوله، وسهَّلت عليه طرق النقل والاتصال، وأنقذته من براثن الأوبئة والأمراض حتى تضاعف الأمل في الحياة عمَّا كان عليه في الماضي؛ - وفي الازدهار الاقتصادي، ولاسيما الدخول في عصر التصنيع، وما نتج عنه من توفر للسلع ومواد الاستهلاك، وعموما من رفاه؛ - وفي الحركة الفلسفية والفكرية التي دعَّمت مكانة العقل ودافعت عن حريات التفكير والمعتقد والتعبير، وقاومت الأوهام والأساطير واحتكار الهياكل الكنسية لشؤون الدين؛ - وفي النظم السياسية التي كرَّست مبادئ علوية الدستور، والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات وأمام القانون، والتمثيلية الشعبية، وضمَّنَت حق المعارضة في التداول على الحكم بالطرق السلمية»3.

لعل أكثر ما يستوقف القارئ لهذا المقطع هو ترتيب عناصره، نعني أن الأصل المتبع في المباحث الأكاديمية، والمفكر الشرفي أكاديمي متمرس، هو أن يجيء ترتيب العناصر بحسب ما لها من الخطورة والقيمة، فيكون العنصر الأول مقدما بالاعتبار على سائر العناصر، وهكذا في ترتيب تنازلي منضبط؛ فإذا راعينا هذه الحيثية وقرأنا مقطع الشرفي من زاويتها، فاجأنا انبهاره بالجانب التقني من مكتشفات العلوم الأوروبية ومخترعاتها، حتى أنه جعله أول مظاهر الحداثة وأحقها بالإشادة. إن لنا أن نسأل رأسا، وبغير إبطاء، أيهما أولى بالوقوف على خطورته وأجدر باعتبار قيمته، قياسا إلى خلو ساحتنا منه: أهو اصطباغ حياتنا المادية بمكتشفات الحضارة الأوروبية وبأدواتها التقنية، أم استقامة أحوالنا الوجودية على مبادئ نُظُم سياسية ودستورية تعصم السائرين على منهاجها من التورط في فضائع الطغيان والاستبداد؟4

وما نظن أن صاحب القول هو بحيث يغيب عنه أن واقع العالم العربي والإسلامي، على ما بين مجتمعاته من التفاوت في مقدراتها الاقتصادية وأوضاعها العلمية، ومقدار ما حققته أو هي آخذة في تحقيقه من استجلاب أسباب الرفاه- حتى غدت في مجموعها مجتمعات غارقة في الاستهلاكية-، لئن هو احتاج إلى شيء مما ذكره في عناصره الأربعة لكان احتياجه إلى آخر عناصره مقدما على غيرها، بل لعله لو قُدِّر له أن يأخذ بنصيبه من هذه النظم الدستورية، التي أشار إليها باقتضاب آنفا، وعلى قدر ما تتطلع إليه شعوبه، لاستغنى بها عما سواها؛ فإن صلاح أحوال السياسة عندنا وانتظام أمورنا الاجتماعية هو شرط مقدَّر لكل إصلاح مطلوب؛ وليست آفاتنا في أننا لا نفكر أو في أننا لا ننتج، ولا هي منحصرة في كوننا لا نمارس العلم أو في عجزنا عن تصريف مبتكراته، بل رأس الآفة عندنا أننا نُمنع من العلم ومن الفكر ومن الإنتاج، فإذا ارتفع هذا المانع وزالت معه مظاهر التسلط والقهر، انفتحت أمام العالم العربي والإسلامي منافذ الحرية والتحرر، وتهيأت له بموجبها أسباب الأخذ بمصيره، وعرف حينها كيف يباشر بناء حضارته والاعتناء بأحوالها؛ وإذن، فليس العربي اليوم بأحوج إلى شيء احتياجه إلى الحرية.

وعلى هذا، فلو سلَّمنا جدلا أن وجه الاضطرار إلى الدخول في مسار الحداثة الأوروبية هو افتقارنا، بالكلية، لِمَا أحصاه الشرفي من كبرى تجلياتها، فلا نسلِّم له خطته في ترتيبها، من حيث إن الترتيب هو ضرب من ترتب بعض العناصر على بعض أو لزوم بعضها من بعض؛ ولا نرى إلا أن يتقدَّم آخرها، وهو العنصر السياسي؛ وحجتنا فيما نزعم له من الأولية هي ما نعلمه من عُسْر التحقق به وفداحة التفريط فيه، بل لِمَا يقتضيه من تضحيات جسيمة ومكابدات باهضة- وقد تكون ضريبة الدم عنوانها الأبرز-؛ وليس الأمر على هذه الشاكلة فيما سواه من العناصر، أو هو دونه حدة وصرامة في غيرها. فلأجل ذلك كان استتباب الأوضاع السياسية وسريان المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات شرطا في شيوع الحرية فيما يتصل بأمور الفكر والمعتقد والقول؛ وما تحققت هذه الحرية في مجتمع إلا ازدهرت فيه العلوم والفنون والصنائع، وارتقت فيه- بالتبع- أوضاعه الاقتصادية مرتقى يحفظ لكل فرد من أفراده حقوق الآدمية وكرامة العيش.

ما الذي يفسر هذا الذهول عن مقاصد الحداثة ومطالبها لدى واحد من أبرز المبشرين بها؟ إنه لا يمكن أن يكون سببه غير ما يجوز تسميته، مع فتحي المسكيني، بـ»الدهشة الإستيطيقية»5 من الحداثة؛ وهي دهشة تربك صاحبها من فرط شدتها عليه، فتنال من وجاهة تحليلاته، ناهيك عن معقولية مواقفه الفكرية. ذلك لأن من تستبد به الدهشة يكون في حكم المنفعل المأخوذ الذي تطغى لديه أهواء العاطفة ومنازعها على أحكام العقل وضوابطه؛ وحينها لا يكون غريبا أن يجري تحت قلم الشرفي هذا القول: «[...] وما آلت إليه الحداثة نفسها من اتساع خرجت به من كونها نمطا غربيا إلى كونها أفق انتظار البشرية قاطبة [...] أدى في مفتتح هذا القرن إلى ضرورة التفكير والسلوك على أسس جديدة منقطعة الصلة أو تكاد عما كان مستقرا في العقول والنفوس طيلة قرون. وبعبارة أخرى، فإن الحداثة لم تضح اختيارا بقدر ما هي واقع [...]»6. وليس المستغرب منه في عبارة الشرفي حكمه بالكونية الشاملة لحضارة الغرب، أو ضنه بالحرية على عرب هذا الزمان في إقبالهم على حداثة الغرب أو إدبارهم عنها، فحسب؛ ولكنه فوق ذلك كله إنزاله الغرب منزلة يحتار القارئ لنصه في تعيينها، ولعل أقرب وصف يدنو مما تُشعر به تحليلات الكاتب هو أن الغرب أمة استثنائية أو ظاهرة فريدة متعالية؛ وإلا فكيف نفسر أنه ما فتئ يدعونا- على غرار سائر الحداثيين- إلى احتذاء أنموذج الغرب واتباع طريقه، حتى بلغ من افتتانه به أنْ أرسل القول بضرورة القطع مع ميراثنا المستقر في عقولنا ونفوسنا منذ قرون متطاولة، مع سابق إقراره بأن «البلاد الأوروبية لم تعرف، منذ عصر نهضتها وعلى امتداد القرون الخمسة الماضية، قطيعة حقيقية مع أوضاعها الماضية، ولا طفرات تجسمت فيها المظاهر الحضارية المتجددة وغير المسبوقة، بل كانت هذه المظاهر ثمرة طبيعية لتطورها الذاتي ولتراكم التجارب والخبرات»7. فلِم تكون حداثة أوروبا موصولة السبب بماضيها، وحصيلةً طبيعية لتطورها الذاتي، وتكون حداثتنا المستوحاة من عين الأنموذج الأوروبي قطعا مع ماضينا، وقفزا في مدارات غيرنا؟ أليس مقتضى الكونية أن الأمم شركاء فيما يعرض لها من تقلبات وأوضاع تاريخية، وأن ما يصدق على إحداها صادق بذاته على غيرها، على جهة الكلية؟ فما السبب الذي يحفظ على أوروبا صلتها بماضيها، ويقطع علينا صلتنا بماضينا، إلا أن يكون أمرا خاصا بكل أمة أمة، وحينها ألا يبطل القول بالكونية والكلية وما هو في معناهما؟

ألم يحن، بعد، الأوان لتناول مفهوم الحداثة تناولا خالصا من تلك الشحنة الانفعالية التي لازمته عقودا طويلة؟

إن مسألة الدهشة هذه وما هو لازم عنها من الذهول، بل ومن ذهاب العقل أمام واقعة الحداثة، لهي أمر حقيق بكل استشكال! كيف غاب عن دعاة الحداثة- حتى لا نقول عن أدعيائها- أن قولهم: «لا فلسفة إلا بالكلي»8، وقولهم: «إن الحداثة باتت واقعا مفروضا لا انفكاك عن الدخول في تجربته»9، هما قولان متناوئان، لا يلزم عنهما بأي حال من الأحوال اعتبار الحداثة أمرا كليا أو كونيا؛ ووجه اعتراضنا على هذه النتيجة هو أن الحداثة لَمَّا كانت واقعا، وكان الواقع هو ميدان الجزئي، فقد بطل أن يُعامل الجزئي الواقعي معاملة الكلي المفهومي؛ وحينها يصح الرد على أطروحة الحداثيين ودفعها بقولنا: أمَّا أن تكون الحداثة «الأوروبية»، اليوم، واقعا، فذلك ما لا يقوى أي شك على زعزعته، فإن الواقع لا يرتفع؛ وأما أن يقال إن هذا الواقع قد صار أفق انتظار البشرية قاطبة، فهذا استدلال واقع في مغالطة دلالية فادحة، من حيث هو ينتقل من مقولة واقعية إلى مقولة معيارية دون مسوغ من دليل أو حجة ظاهرة.

هوامش

1 كانط، مرجع سابق ذكره، ص 7.

2 المرجع عينه، الصفحة عينها.

3 عبد المجيد الشرفي، مرجع سابق ذكره، ص -80 81. التشديد منا.

4 راجع رأيا سديدا في محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص 18؛ «[...] تلك وجهة نظرنا في الحداثة كما يجب أن تتحدد على ضوء معطيات واقعنا الراهن، إنها قبل كل شيء: العقلانية والديمقراطية».

5 فتحي المسكيني، مرجع سابق ذكره، ص 60.

6 عبد المجيد الشرفي، مرجع سابق ذكره، ص 82. التشديد منا.

7 عبد المجيد الشرفي، مرجع سابق ذكره، ص 81. التشديد منا.

8 فتحي المسكيني، مرجع سابق ذكره، ص 55.

9 عبد المجيد الشرفي، المرجع عينه، ص 82.

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

دعاء العدد

- اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني .

الاثنين 04 - 10 جمادى الثانية 1434 هـ /15 - 21 أفريل 2013 العدد: 648 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

اتهامات باطلة

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد دراجي

قرأت مقال الأستاذ محمد سعيدي المعنون بـ (الإسلام السياسي بين الخيال المثالي والواقع العملي)، وهو عبارة عن تعليق على مقال سابق للدكتور بومدين بوزيد، المنشور في جريدة الخبر والمعنون بـ (خطاب الوحدة وواقع الشقاق)، وللحقيقة فإنني لم أطلع على مقال الدكتور بومدين بوزيد، ولذلك فإن ملاحظاتي ستكون موجهة رأسا إلى مقال الأستاذ محمد سعيدي، الذي أثار جملة من القضايا، وعديدا من الأفكار أرى أنه من الواجب التوقف عندها مليا، وفحصها فحصا دقيقا، وسبر أغوارها، لتبين كذبها وحقيقتها وانعكاساتها الخطيرة على واقعنا الذي نعيشه، خصوصا وأنها تتعلق بمحاولة تفسير ظاهرة الإرهاب، هذا الداء العضال الذي اجتاحنا وأكل الأخضر واليابس، وما زال يدمر طاقاتنا وينخر في أسس مجتمعنا، ما لم يهب الجميع لمقاومته أو استئصال شأفته من الوجود، أو على الأقل التجحيم من آثاره، وتقليل خسائره، وقد أشار الأستاذ إلى هذا بالقول: «الرابط بين هذه القضايا هو العنف عبر تاريخ شعوبنا للوصول إلى السلطة والبقاء فيها، إلى حالة الإرهاب الدموي الذي نعيشها في حاضرنا».

وأولى الخطوات الإجرائية هو السعي الجاد لفهم الظاهرة ومنطلقاتها الفكرية ومرجعيتها الفقهية، وتوظيفها السياسي، وموقعها في الصراع الدولي ولعبة الأمم، لأنه من أهم ميزات هذا العصر هو صناعة الأفكار في المختبرات، وبعثها عند وقت الحاجة واللزوم، فصناعة الأفكار كصناعة الأشخاص أو الزعماء، أصبح فنا متقنا وأمرا مألوفا عند صناع القرار الدولي، فكم من فكرة كانت ميتة فبعثها خبراء الصراع الفكري وأوجدوا لها جمهورا وأتباعا مؤمنين بها، وقادة يدافعون عنها ويروجون لها.

وعليه فإن محاولة إبقاء اللوم على التاريخ وحده، محاولة فاشلة سلفا، بل هي محاولة تبريرية في بعدها وحقيقتها، بل هي تخدم تلك الرؤية الاستعمارية التي تنظر إلى الشعوب غير الأوروبية بأنها شعوب غير قابلة للحضارة، وغير صالحة لتحكم نفسها بنفسها، إنما هي في حاجة ماسة إلى وصي يرشدها، وقيم يسهر على أمورها.

ثم لماذا لا نستحضر من التاريخ إلا النقاط السوداء، والمواقف المخزية وهي كثيرة جدا في تاريخنا -العربي الإسلامي- ولكنها ليست وحدها التي تشكل هذا التاريخ فهناك النقاط المضيئة وهي كثيرة جدا، متقدمة، وليس هنا مجال استقصائها وتتبعها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن كل شعوب العالم بما فيها، بل وفي مقدمتها الشعوب الأوروبية عرفت الصراع الديني والعرقي، وثارت بينها حروب دامية دامت لمئات السنين، وجلى فيها التعصب الديني في أحلك صورة، وأخذ فيها العنف مداه، جعل الإنسان وهو يقرأ تلك الأحداث الخجل من الدرك الذي هوت فيه الإنسانية يومها، فلماذا لم يحل هذا التاريخ دون الإنسان الغربي ودخوله العصر الحديث ومفاهيم الحرية والعدالة والديمقراطية، فالغرائزية نحو العنف، والنزوع قد يسارع الإنسان إلى الإجابة بالقول بأن الإنسان الغربي ما كان له أن يبلغ الذي بلغه لو لم يحدث قطيعة مع تاريخه، وعليه فالمطلوب من المسلمين هو إحداث هذه القطيعة مع تاريخهم إذا أرادوا أن يدخلوا العصر الحديث وآلياته وقيمه من الحرية والعدالة والديمقراطية والتعددية، ونبادر إلى القول بأن القطيعة.

ونبادر إلى القول بأن القطيعة المطلوبة لا تتحقق بالتنكر للعقيدة والشريعة، والحضارة الإسلامية عموما لنصبح وكأننا أمة لقيطة تستجدي الحلول المستوردة من الخارج، كالاشتراكية والرأسمالية وما إليها من الفلسفات والإيديولوجيات، ولا تتحقق كذلك بإخضاع هذا التاريخ لمناهج مستوردة كذلك حتى لكأنه ليس تاريخ الأمة الإسلامية إنما تاريخ بلد من أوروبا الشرقية كما فعل صاحب «التفسير المادي للتاريخ الإسلامي».

وإنما بالقراءة التحليلية النقدية، وهذا أمر يدعيه الكثيرون ويكثرون حوله الكلام ولكنهم في حقيقة الأمر لا يفعلون شيئا من ذلك، بل يكتفون بتوحيد الاتهامات للحركة الإسلامية ورموزها، والعاملين للإسلام بالجملة، من ذلك قول الأستاذ في مقاله: «...وأن التيارات الإسلامية المنتشرة عبر العالم الإسلامي، سواء منها التي تريد استرجاع الخلافة، أو إقامة الدولة الإسلامية، لم تتغير لا في طبيعة نظرتها إلى الحكم ولا في طريقة الوصول إليه، بحكم تجاهلها لقراءة التاريخ قراءة عقلانية موضوعية تصحح مسار ذلك التاريخ باستخلاص الدروس من سلبياته»، هكذا كل الحركات الإسلامية بدون استثناء تؤمن بالعنف وسيلة الوصول إلى السلطة بالقوة أداة للبقاء فيها وكأن تجربة الحركة الإسلامية في تركيا التي هي حديث العالم اليوم حدثت في كوكب آخر غير كوكبنا، وكأن الإسهامات الفكرية حول الديمقراطية والإسلام، وإلزامية الشورى، للإمام محمد الغزالي، ومالك بن نبي -رحمهما الله- والشيخ راشد الغنوشي وغيرها كانت موجهة على شعوب اللوزوطو وجزر الوقواق، إنها الأحكام المسبقة عن تيار عريض في العالم الإسلامي لا نريد أن نقرأه كما يعرض نفسه، إنما نسقط عليه مقدمة لمصادرته من الوجود.

وأخيرا يصل الأستاذ إلى بيت القصيد من مقاله، وهو أن الإسلام السياسي في الجزائر، نشأ كتيار مقاوم للاشتراكية، ولذلك راح يغمز من طرف خفي العالم الجليل الشيخ عبد اللطيف سلطاني -رحمه الله- الذي لم يذكره بالاسم ولكن ذكره بعناوين مؤلفاته، ووجه اتهاما خطيرا لما قال: «..اعتقد أنصار هذا التيار أنهم البديل للنظام الاشتراكي وبأن الاشتراكية في نظرهم مرادفة للإلحاد والكفر فكان لابد من الإطاحة بالدولة التي تبنتها وأن السبيل لذلك هو العنف، فدخلنا في أزمة دموية لا نعرف إلى الآن كيف الخروج منها» فهذا الكلام على ما يحمل من اتهام مبطن وصريح لأمثال الشيخ عبد اللطيف سلطاني بأنه أحد مقوضي أسس الدولة، وهو المجاهد الذي أفنى سحابة عمره في مقاومة الاستعمار لإقامة الدولة الوطنية المستقلة المنشقة من مبادئ الإسلام وتشريعاته العادلة، فإنه يتسم بالسطحية إذ عمد إلى تسطيح مشكلة معقدة بإجماع أهل الرأي والدراية، وتحميل أنصار الإسلام السياسي وحدهم المسؤولية، أما دعاة التغريب وفارضوا الحلول المستوردة على الامة بالحديد والنار: فهم برآء برءاة الذئب من دم يوسف ثم ما المقصود بالإسلام السياسي عندك هل هو الدعوة إلى أحقية الإسلام في قيادة الحياة، ووجوب انبثاق أنظمة الحياة كلها من عقيدة الأمة ودينها، إذا كان الأمر كذلك فهذه أمانة الشهداء من الأمير عبد القادر إلى مصطفى بن بولعيد -رحمهما الله تعالى- وإذا كان المقصود به الإرهاب القتل العشوائي والسعي الجاد لتقويض أسس الدولة فلا معنى لزج باسم الشيخ المجاهد في هذا الأمر، وعليه فلابد من تحديد المصطلح وضبطه حتى يمكن الفهم والتفهيم.

كلمة حق

بقلم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي *

قضايا اللغة العربية المعاصرة

هذا هو محور المؤتمر التاسع والسبعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي دام من 13 جمادى الأولى 1434هـ إلى 27 منه الموافق لـ25 مارس 2013 إلى 8 أفريل.

وهو محور مهم يتطلبه وضع هذه اللغة اليوم في أوطان البلاد العربية، وما أصابه من أوضار وضعف، ومل يحيط به من أخطار تغيّر من أسلوب العربية ومفرداتها، وتشوه استعمالاتها وتراكيبها، بسبب عوامل متعددة كاللغة الأجنبية، وسرعة الإعلاميين في الترجمة منها، الأمر الذي يجعلهم يستعملون أساليب على غير مجرى العربية وأوضاعها، واستعمالاتها، وبسبب اللهجات العامية المختلفة مشرقا ومغربا، وما يسمى بالشعر النبطي أو الملحون، ومزاحمة اللغات الأجنبية في المدارس في الصفوف الأولى الذي يضعف من التمكن من العربية.

ويدخل ضيما كبيرا على اللسان العربي وعلى تمكّن التلاميذ منه، بالإضافة إلى تعليم العلوم الدقيقة باللغة الأجنبية في الجامعات، وإصرار أساتذة التعليم العالي في أغلبهم على ذلك، فيجعلون الطالب سجين هذه اللغات لا يدركها إدراكا صحيحا فيؤثر ذلك في فهمه، وإدراكه إدراكا صحيحا للمفاهيم العلمية، فتبقى مفاهيم كثيرة غامضة في ذهنه ولا يتمكن من الإبداع فيها.

إن التعليم باللسان العربي لهذه العلوم هو الذي يضمن نمو لغة العلم، واصطلاحاته، ووضعها وضعا يتمكن من الطلاب، باجتهاد المجتهدين من الأساتذة، أما ما تضعه المجامع مع المصطلحات إذا لم تستعمل في الجامعات تدريسا وبحثا، فإنها تبقى حبرا على ورق لا تحيا بالاستعمال، ولا تنمو بالاجتهاد في تطويرها وحسن وضعها بدقة.

وهذه المحاور التي وضعها المؤتمر ليبحثها المتخصصون، وينتهون بها إلى قرارات وتوصيات:

-1 المصطلح اللغوي والثقافي والعلمي بين المشرق والمغرب العربي.

-2 لغة العصر والتراث اللغوي: تواصل أم انقطاع؟

-3 تعريب العلوم: ضرورة لغوية أم حاجة قومية؟

-4 اللغة في الدراما التلفزيونية.

-5 لغة الحوار في الأجناس الأدبية المعاصرة.

-6 لغة الإعلان الصحفي وطرق الارتقاء بها.

-7 اللغة العربية في مدارس اللغات.

-8 واقع الترجمة من العربية وإليها.

-9 من مشكلات اللغة العربية الآن وقضاياها.

ألقى كلمة الافتتاح الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع، وألقى رئيس المجمع الأستاذ الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعي كلمة أخرى.

أشار الأستاذ فاروق في كلمته إلى التاريخ العريق للمجمع منذ سنة 1934 إلى يومنا هذا وما حققه من إنجاز، وإلى مكانة المجمع في سجل التوثيق لهذه اللغة الشريفة، لغة العلم والحضارة، ولغة الإبداع والفنون.

وبيّن الأستاذ الدكتور حسن الشافعي رئيس المجمع في كلمته شرف هذه اللغة، وأنها يشرف بها كل من خدمها، وحافظ على وجودها حيّة بين اللغات، لأنها لسان القرآن، واختارها الله لتعبّر عن وحيه وعظيم بيانه.

وأشار إلى «أننا أسأنا تقديم لغتنا إلى الجيل الجديد، وسلمناهم إلى غيرنا ممن حببوا إليهم لغات أخرى غير لغتنا، فوجدوا أنفسهم أقرب إلى تلك اللغات وثقافتها منهم إلى لسان أمتهم وثقافتها»، كما أشار إلى أن خمس مؤسسات تقوم على خدمة العربية في عواصم عربية، وعسى أن يكون هذا فاتحة لمرحلة جديدة تنهض بالعربية، كما أشار إلى الانتقادات التي توجه إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومآخذ منها: ضعف التواصل بين المجمع والجماهير العربية بوجه عام، وضعفه مع الجامعات وجمهور المثقفين، وإن كان بعض الكتاب الإعلاميين يظلم المجمع بانتقادات لا أساس لها.

وأشار إلى تطوير مجلة المجمع إلى عهد جديد في صورتها ومحتواها، وإلى صدور عدد ضخم من المعاجم اللغوية والفنية، وخدمت هذا كله خمس وعشرون لجنة من لجان المجمع.

كما أن المجمع تحقق له في دستور مصر الجديد من الاستعمال والعناية باللغة العربية في مواد دستورية ثلاثة، وهي:

- تحمي الدولة المقومات الثقافية والحضارية واللغوية للمجتمع وتعمل على تعريب التعليم والعلوم والمعارف.

- حرية البحث العلمي مكفولة، والجامعات والمجامع العلمية واللغوية ومراكز البحث العلمي مستقلة، وتخصص لها الدولة نسبة كافية من الناتج القومي.

- اللغة العربية مادة أساسية في مراحل التعليم المختلفة بكل المؤسسات التعليمية، والتربية الدينية والتاريخ الوطني مادتان أساسيتان في التعليم قبل الجامعي بكل ألوانه.

وبجانب صدور المعجم الوسيط، فإن العمل جار لإصدار معجم مصوّر للأطفال، والمعجم الكبير الذي تجتهد لجنته لإصداره في مدة أقصر، والمعجم التاريخي لهذه اللغة الشريفة «والذخيرة العربية» التي يقوم بها مجمع الجزائر.

علمتني التجارب

الحب بين الفطرة والاكتساب

الدكتور عبد الحليم قابة

علمتني التجارب أنّ الحب له أسباب عديدة، بعضها فطري، لا دخل للمرء فيه، وبعضها مكتسب يمكن للمرء التّصرف فيه.

أمّا النّوع الأوّل فمنه مثلاً ما يمنّ الله به على بعض الخلائق من جمال الصورة، وحسن الصوت، وطيب الريح، ونحو ذلك ما جُبلت النّفوس على الانجذاب نحوه، والرغبَة في التّمتع به، وهذا لا كلام لنا عليه الآن.

ومنه ما عبّر عنه سيّد الخلائق بقوله: «الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» وهو أمر -في الظاهر- لا دخل للإرادة البشرية فيه إلاّ أن يقال: إنّ أرواح السعداء تتعارف فيطلب ذلك بالتقوى والعمل الصالح، وإنّ أرواح الأشقياء تتناكر فيما بينها، بعضها مع بعض ومع أرواح السعداء، فيطلب السلامة منها بما ذُكِر أيضًا.

أمّا النّوع الثاني: فيجمعه حسن الخلق وطيب المعشر، والمعاملة الحسنة، فإنّ النّفوس جُبلت على حبِّ من أحسن إليها، وعلى الميلَ لمن يحترمها ولا يحتقرها، فكيف إذا كان ذلك هو ما نصّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم معلِّم البشرية الأعظم حين قال: «ألا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السّلام بينكم».

وخلاصة ما أريد الوصول إليه أنّ من أراد أن يحبَّه الناس وأن يحبَّه ربُّ الناس، وأن يبسط له القَبول بين الناس فليتفان في الإحسان إلى الناس، وليحسن خلقه مع كلّ الناس.

وليخبرني -بعد ذلك- ما موقعه من القلوب؟ وليستبشر بعلوِ المكانة عند علاّم الغيوب.